محبوب
الإصدار السابع والأربعون

أمالي التراث
نظراتٌ نقديّة وقراءاتٌ في جديد التراث
العُماني مخطوطِه ومطبوعِه

ابن النَّضْر

لغزٌ يبحث عن حل

بقلم

سُلطَان بْن مُبَارَك بْن حَمَد الشَّيْبَانِيّ

سلسلة: أمالي التراث؛ نظراتٌ نقديّة وقراءاتٌ في جديد التراث العُماني مخطوطه ومطبوعِه
ابن النَّضْر.. لغزٌ يبحث عن حل

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرقمية الأولى
رجب ١٤٤٤هـ/ يناير (كانون الثاني) ٢٠٢٣م

محبوب للنشـــــر الرقمي
مسقط/ سلطـــنة عُمان
البريـــد الإلكـــتروني:
mahboub.pd@gmail.com

ابن النَّضْر

لغزٌ يبحث عن حل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،

وعلى آله وصحبه ومن والاه

• تمهيد:

ابنُ النَّضْر شخصيَّةٌ بارزة في التراث العُماني خاصة، والإباضي عامة، وعلى الرغم من شهرته المشرقية والمغربية على حد سواء أُثيرت حوله وحول تاريخه قضايا كثيرة تنتظر الدراسة المتأنية لحلها ومناقشتها. وأكثرُ من يَعْرِفُ ابن النضر يَعْرِفُه بترجمته الموجودة في أول كتابه المشهور: (الدعائم)، وجُلُّ مَنْ تَعَرَّضَ له – إنْ لم يكن كلهم - نَقَلَ عن هذه الترجمة واعتمد عليها، والترجمةُ بحدّ ذاتها تطرح إشكالات عديدة، تستدعي النظر فيها بتمعن، قبل أن تُبنى عليها استنتاجات صارت عند بعض الدارسين في حُكم المُسَلَّمات.

• تحرير محل الإشكال:

كتابُ «الدَّعَائِمِ» ديوانُ شعرٍ عِلْمِيٍّ، في أبوابِ العَقِيدَةِ والفِقْهِ، نَظَمَهُ العَلاَّمَةُ الأَدِيبُ أحمدُ بن النَّضْرِ السَّمَائِلِيُّ، على منوالٍ لم يُسبق إليه،

وتصدّى له مِنْ بعده الشيخُ محمد بن وَصَّاف النَّزْوِيُّ، فوَضَعَ عليه أوَّلَ شَرْحٍ لَه.

ثُمَّ تناولتْهُ بعد ذلك أقلامُ العلماءِ مشارقتِهم ومغاربتِهم، فمنهم مَنْ شَرَحَ بعضَه ومنهم من شرح الكُلَّ، كيحيى بن أبِي العِزِّ الشَّمَّاخِيِّ (ق٨هـ) في «شرح الدعائم» (مخ)، وأبي القاسم بن إبراهيم البَرَّاديّ (ق٩هـ) في «شفاء الحائم بشرح بعض الدعائم» (مخ)، وخَلَفِ بن أحْمَدَ بن عبد الله الرُّقَيْشِيّ (ق١١هـ) في «مصباح الظلام بشرح دعائم الإسلام» (مخ)، وأبِي زكريا يحيى بن صالح الأفضلي (ت١٢٠٢هـ) شَرَحَ بعض قصيده (مخ)، ومنصور بن محمد بن ناصر بن خميس الخروصي (ق١٣هـ) شارح القصيدة اللامية في الحج (منشور).

ومِمَّن اعتنى بإعراب أبياته: البَدْرُ أحْمَدُ بن سعيد الشماخي (ت٩٢٨هـ) في «إعراب مُشْكِلِ الدعائم» (مخ)، ثُمَّ جاء قُطْبُ الأئمَّة (ت١٣٣٢هـ) فوَضَعَ عليه شرحين أحدهما موسَّعٌ والآخر مختصر (مخ)، كما شَرَحَ لامِيَّةَ نَسَب الدِّين في كتابٍ مُفْرَدٍ سَمَّاه «الإسعاف في الإنصاف»، وللإمامِ نور الدين السالمي (ت١٣٣٢هـ) «الشَّرَفُ التَّامُّ بشرح دعائم الإسلام» (مفقود). وغيرهم.

وذكرتُ في كتابي (مفتاح الباحث)[١] أن كتاب (الدعائم) يُعَدُّ من أوسَع الكتب العُمَانِيّة انتشارًا، إذ تجاوز عددُ مَخْطوطاته المئتين، هذا غير شُروحه المتعددة التي تُعَدُّ نُسَخُها المخطوطة نُسَخًا أخرى لِمَتْنِ الدَّعائم، وغير مُباحثات العلماء عن معاني أبياته وقصائده وضبط ألفاظها وتَحْقِيق نسبتها إليه، فذلك شيءٌ لا يُحْصَى عَدًّا، ولو جُمِعَ لبَلَغَ مُجَلَّداتٍ. و(الدعائم) حقيقٌ أن يُفْرَدَ له كتابٌ مستقلٌّ في تعداد نُسَخِهِ ووَصْفِ شُروحه.

ومثل حظوة الكتاب بالشرح والنَّسْخ حظي كذلك بالطباعة والنشر، فكان مِنْ أوَائِلِ المَطْبُوعَاتِ الإِبَاضِيَّة، إِذْ صَدَرَ عن المطبعة البارونية بِمِصْرَ في طبعةٍ حَجَرِيَّةٍ عام ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ثُمَّ تَوَلَّى أمْرَهُ الشيخُ سالم بن محمد الرواحي، فراجعه وصدّره بترجَمَةٍ لِمُؤَلِّفِهِ نقلها عن شيخه يحيى بن خلفان الخروصي، وطَبَعَهُ بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

وعن هذه الطبعة صُوِّرَتْ طبعاتٌ أخرى لاحقة، كطبعة دار الكشّاف في لبنان سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م، ثم جُدِّدَ طَبْعُهُ في المطبعة العمومية بدمشق عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ونُشِرَ في البحرين بعد ذلك مُصَوَّرًا عن هذه الأخيرة، كما نُشِرَ مُصَوَّرًا في عُمَان أيضًا من طرف وزارة التراث القومي والثقافة، وطَبعت الوزارة أيضا شرح ابن وصاف المسمى (الحل والإصابة).

---

[١] **مفتاح الباحث إلى ذخائر التراث الفكري العُماني**؛ بقلم: سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني. ط١: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ذاكرة عُمان- مسقط/ سلطنة عمان. ص٣٨.

هذه الوفرة في مخطوطات الدعائم وشروحه وطبعاته لم تَشْفَعْ له في رفع الغموض والجهالة عن تاريخ مؤلفه، فظلَّ مُغيَّبًا طوال قرون، حتى ظهرت ترجمتُه (التي صُدِّر بها ديوانه فيما بعد) مطلعَ القرن الرابع عشر الهجري، والغريب في أمر هذه الترجمة أنها قَلَبَت المعادلة رأسًا على عقب، فذكرتْ تفصيلات دقيقة عن حياة ابن النضر على منوال غير معهود، وقَلَّ أنْ تَجِدَ مِنْ أعلامِ عُمَانَ مَنْ نالَ حَظًّا مِنْ يَسِيرٍ مِثْلَهَا! ولذلك اعتمد عليها الإمام السالمي، فنقلها في (تحفة الأعيان) قبل طباعتها صَدْرَ الدعائم.

وإنعامُ النظر فيما توافر لدينا من مصادر – مع شح معلوماتها – يقودنا إلى التروّي في قبول ما جاء في هذه الترجمة، ويدفعنا إلى تساؤلات كثيرة، تحاول هذه المقالة إثارتها والجواب عليها.

ولكي تتسلسل الأفكار في ذهن القارئ على نسق واضح أطرحها في ثلاث محاور رئيسة؛ أتعرّض أولا لنقد ترجمة ابن النضر المتداولة، ثم أعرّج على صورة ابن النضر في المصادر الأخرى، وأخصُّ من بينها شرح ابن وصاف بحديث مستقل؛ نظرًا لقرب عهده من عهد ابن النضر.

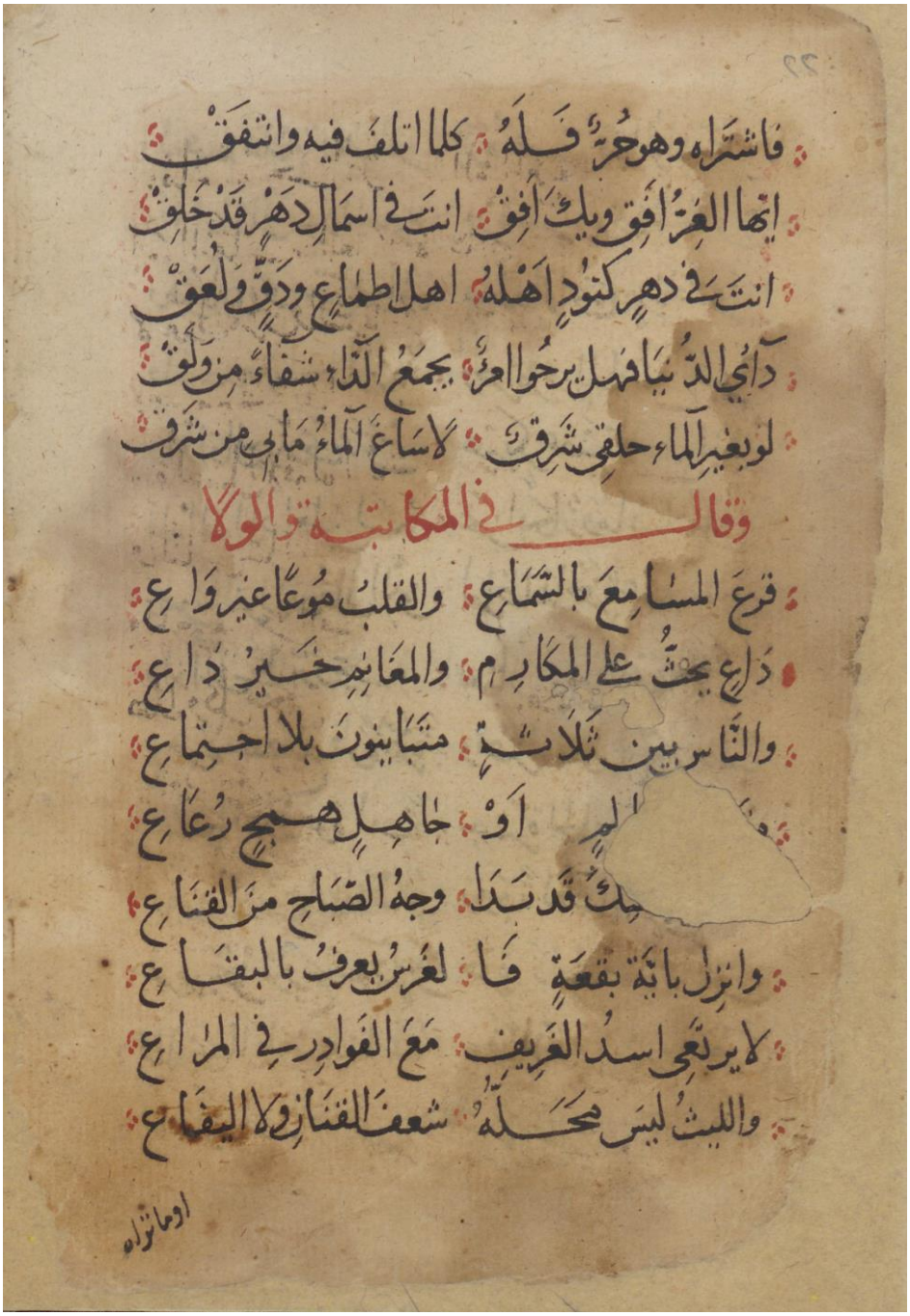
فاشتراه وهو حرٌّ فله ... كلما اتلف فيه واتفق
ايها العرّاف ويك اتفق ... انت في اسمال دهر قد خلق
انت في دهر كنود اهله ... اهل اطماع ودقّ ولعق
داي الدنيا فهل برحوا امرؤ ... يجمع الداء شفاءً من ولق
لو بغير الماء حلقي شرق ... لاساغ الماء ما بي من شرق

وقال في المكابتة والولاء

قرع المسامع بالشماع ... والقلب موعاً غير واع
داع يحثّ على المكارم ... والمعائم خير داع
والناس بين ثلاثة ... متباينون بلا اجتماع
[illegible] او جاهل هيج رعاع
[illegible] قد بدا ... وجه الصباح من القناع
وانزل باية بقعة ... فالعرس يعرف بالبقاع
لا يرتعي اسد الغريف ... مع الفوادر في المراع
والليث ليس محلّه ... شعف القنار ولا اليفاع

اوما تراه

صفحة من مخطوط الدعائم

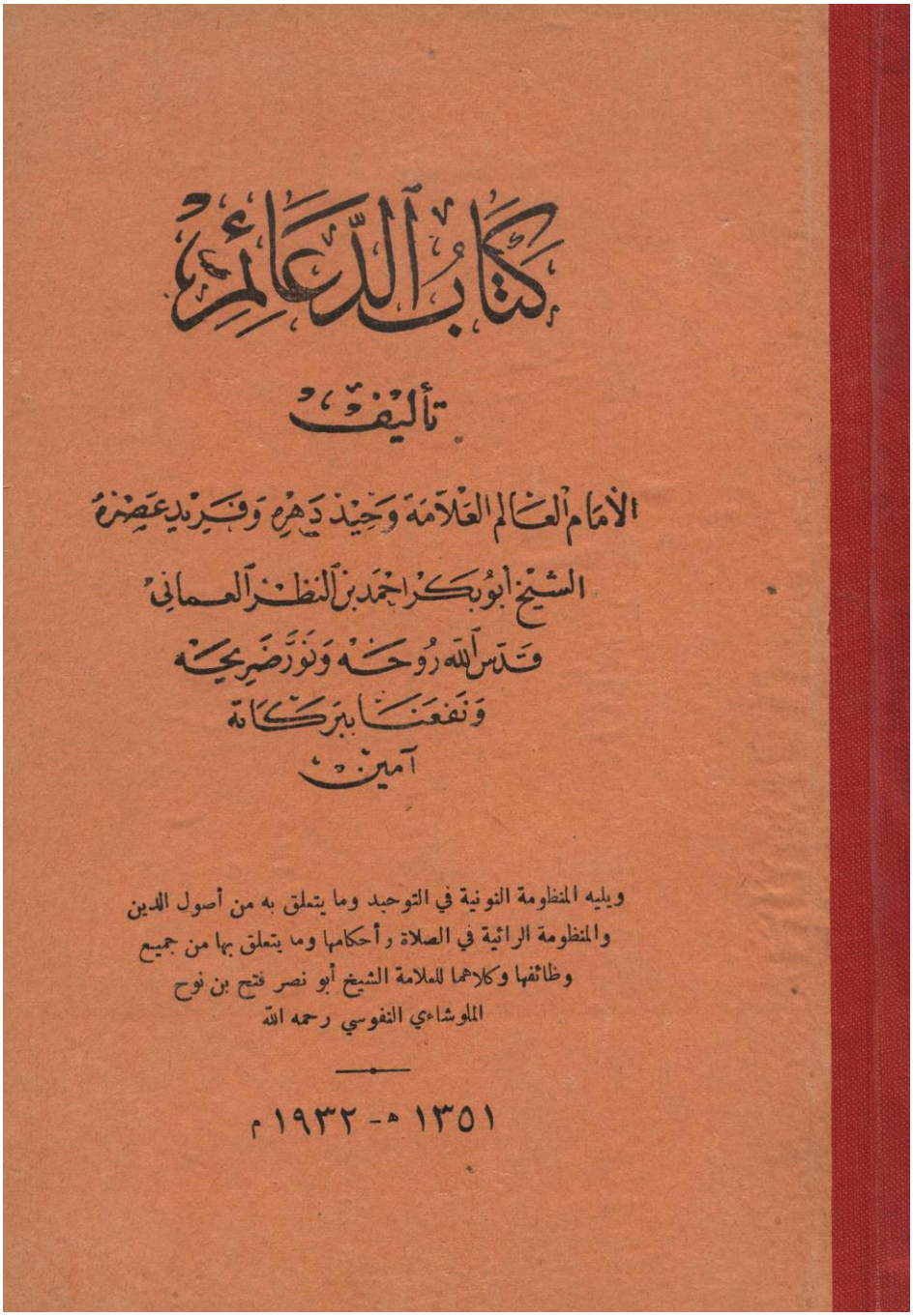

غلاف الطبعة الأولى من الدعائم بعد الطبعة الحجرية

- **ترجمة ابن النضر المتداولة:**

«قال الشيخُ يَحيى بن خَلْفَان بن أبِي نَبْهَان الخَرُوصِيُّ: هذه ترجَمةُ الشيخ العالِمِ الفقيه، الفصيحِ المصقع النَّبِيه، الناظِمِ المُفْلِقِ الوَجِيه، صاحبِ الدَّعائم: أحمد ابن النَّضْرِ[٢] السَّموئِلِي[٣] العُمَانِي المَحْبُوبِيّ الإباضِيِّ، الذي نَظَمَ الشِّعْرَ فأجادَ، وأخَذَ بِعِنَانِهِ فتصرَّفَ فيه على ما أراد، فلا يُشَقُّ لَهُ غبارٌ في هذا المِضْمَار، ولا يُلْفَى فيه لَهُ عِثَار.

فَنَظَمَ الشريعةَ الشريفةَ في سلك المعانِي والبيان، وصَبَّ معانِيَها في قوالب البلاغة والتبيان، فأنْشَدَت الأعيانُ شعرَه في النوادي، وغَرَّدَتْ به الحُدَاةُ في البوادي، في عُمَان وغيرِها من البلدان. فَلِلَّهِ دَرُّهُ من ناظمٍ ما أفْصَحَه، ومن كلامٍ ما أبْيَنَهُ وأوْضَحَه، حتى قال فيه بعضُ أهل العلم إنّهُ أشْعَرُ العُلماء وأعْلَمُ الشعراء.

وقد شَرَحَ ديوانَه هذا شُرَّاحٌ؛ منهم: شرحُ العلامة[٤] مُحَمَّد بن وَصَّاف - وهو الذي اعتنى بِجَمْعِ قصائده الموجودة - شرحًا مُخْتَصَرًا، وشَرَحَهُ العلامةُ الرُّقَيْشِيُّ في جِلْدَيْنِ، احتوى على شرح ابن وصاف وزاد فيه، وشَرَحَ بعض

---

[٢] في الأصل «ابن النظر» وعدَّلْتها حيثما ورَدَتْ جريًا على قول الشيخ إبراهيم العبري: «قد تواطأ أهلُ عُمَان على كتابة النظر والد الشيخ أحمد ابن النظر الشهير بالظاء المُشالَة، والصوابُ كتابته بالضاد الساقطة، كما يُكتب النضر بن شُمَيل والحارث بن النضر وغيرهما؛ لأن اشتقاقه من النضارة لا من النظر». اهـ من **العقد الثمين** ١/ ٢٤٢ (هامش).

[٣] نسبةً إلى سَمائل، من بلدان عمان الداخلية، وسيأتي كلامٌ حول هذه النسبة.

[٤] لعل الأَوْلى أن يقول: شُرَّاحٌ منهم العلامة محمد بن وصاف...، أو في شروحٍ منها شرح العلامة...

القصائد منه عالِمٌ مَغْرِبِيٌّ من أصحابنا ولَمْ يُكْمِلْهُ[٥]، وهو أبْسَطُ من الشَّرْحَيْنِ، وقد شَرَحَ القصيدةَ اللامية التي في الحج العالِمُ مَنْصُورُ بن مُحَمَّد بن ناصر، وهو ابنُ ابنِ أخي الشيخِ الكبير أبِي نَبْهَان.

وكُلُّهُمْ لَمْ يتعرَّضُوا لألفاظه البديعية ونتائجه المعنوية، فَلَمْ يبيّنوا لطيفَ إشاراته، ولا أَوْضَحُوا مكنونَ نِكَاتِه، ولا كَشَفُوا عن هاتيك المعانِي من مُخَدَّرَاتِه، بل كان قُصَارَاهُم التَّكَلُّمَ على ما ظَهَرَ من الإعراب والمعاني.

ولعلَّ ذلك لا مِنْ قُصُورِ علمٍ ولا ركاكةِ فهمٍ، ولا نُضُوبِ رَوِيَّةٍ ومَادَّةٍ؛ عن الإتيان بِهَاتيك المعاني النادّة، وعسى أن يكونوا طَلَبُوا في ذلك الإيجازَ والاختصار، وما أحَبُّوا الإسهابَ والإكثار، غير أنَّ الشَّيْخَ منصورًا أبدى أُنْمُوذَجًا من تلك المعاني البديعية والألفاظ اللغوية، فجاء شرحُه لِمَعَانِي كلام الناظم أجْلَى، وأرْشَقَ في النفوس مذاقًا وأحلى.

وهـذه تَرْجَمَــتُه من كتاب خزانة الأخبار:

قال المصنِّف: هو الشيخ ابن النضر صاحب الدعائم، فهو أحمد بن سليمان بن عبد الله بن أحمد بن الخضر العالِمِ الكبير الذي هو من بني النضر السموئلي، بيته بالجابية الفَوْقِيَّة شرقي الجامع، واقتصَرَ الناس على اسم قبيلته لشهرتِهَا، فقيل ابن النضر.

---

[٥] يشير هنا إلى شرح العلامة البرادي المسمى «شفاء الحائم بشرح بعض الدعائم».

وكان الشيخ عبد الله بن أحمد قاضي القضاة بدَمَا، وهو مؤلف كتاب «الإنابة في الصكوك والكتابة» (أربع مُجَلَّدات) وكتاب «الرقاع في أحكام الرضاع» (مُجَلَّدَيْن) أجلِّ ما صُنِّفَ من الأثر عند أهل النظر.

وكان أحمدُ مِنْ أجْوَدِ الناس حفظًا، وكان يتعلم عند الشيخ مبارك بن سليمان بن ذهل، ومنه تعَلَّمَ الشعر وحذا حذوه، وكان من غاية حفظه قال: أنا أحفظ وقد نوَّمَتْني أمي في المهد، وعَلَّقَتْ حول رأسي شِمْرَاخَ بسْرٍ أبيض، فانطلقت عَنْزٌ فلاكَتْهُ، فصِحْتُ، فطَرَدَتْهَا جاريةٌ عني، ثم رجعت فلاكَت الخِرْقَةَ التي كانت عليَّ، فصادَفَتْ إبْهَام رجلي فصِحْتُ، فطردَتْهَا الجاريةُ أيضا، وأخذتني أمي والدَّمُ يسيل من رجلي، فنظرتُ فإذا أنا ابن عشرين يومًا.

وله في الحفظ ما يَقْصُرُ عنه حفظُ أهل زمانه، وكان عالِمًا بأشعار العرب وسِيَرِهِمْ وتواريخهم ومُحاوراتِهم. وناهيكَ بعلم اللغة أخذها بِحَذافيرها. وكانت عُمانُ معدومةً من كتب اللغة إلا كتاب العين وكتاب البحر الزاخر، أكثرُهُ في الباطنة لأن اللغة إليها مُسْتَجْلَبَة، وغايةُ حفظه من شعر العرب أربعين ألف بيت ما كان من الثلاثة إلى الواحد، وأما القصائدُ الكبار فلا تُحْصَى.

وكان ينظم القصيدة في ليلته، وله ديوانٌ، فلما تَبَقَّرَ مَزَّقَهُ، وأكْثَرُهُ تَغَزُّلٌ، ثم صَرَفَ قريضه في الشريعة وانصَبَّ فيها، وسَبَقَ السَّلَفَ، وكَبَتْ دُونَه جِيَادُ الخَلَف، وتفرَّقَتْ قصائدُه في البلدان وذَهَبَ أكثرُها، منها التي في

الولاية والبراءة غيرُ اللامية المشهورة، ومنها في الصلاة وفي الأحكام أكثرُ من أربع قصائد، وبلغني عمّن أثق به أن له قصيدةً في الضاد والظاء نحو مئتي بيت.

وسببُ ذهاب أثر تصنيفه حين قُتِلَ ونُهِبَ بيتُه وخزانة كتبه، وأُحْرِقَتْ بالنار، ولنأتِ القِصَّة: وكان معاصرًا للشيخ فاضل بن عبد الله القلهاتي - وكان عالِمَ عَصْرِه - والشيخِ أبي عمر النخلي الذي ذكره بقصيدته وكان من خاصّة أصدقائه، وكان يَختلف إليه وهو عالِمٌ في الفقه لا غير، وكان بعصر السلطان الجائر خَرْدَلَةَ بن سَمَاعةَ بن مُحْسِن، ولنأت ترجمته في الباب الخامس عشر غَثًّا وسَمِينًا.

رَجْعٌ: ومِنْ فِسْقِ خردلة لعنه الله كان يأخذ من سبع نخلاتٍ نخلةً، ويسقي أمواله بِمَاءِ العباد، ويأكل أموال المساجد والمدراس والمقابر، ويأخذ نصف مهر المرأة من العاجل إذا تزوّجت، وإذا طُلِّقَتْ خاصَمَ في الآجل. وينصف الحبّ والتمر والقطن، ويكلّفُ الناس حمل متاع بيت المال إلى الحصن بعنف، ويكلّف أهل قيقا وبدبد يحملون تَمْرَهُم، وما يغتصبه منهم على دوابِّهِم وظهورهم إليه ولا يبالي، ويأخذ نصف حق المدعي، ولا يُحَلِّفُ الناكرَ بل يُنَوِّعُ لَهُ العذابَ حتى يُقِرَّ لغريمه.

وكان قاضيه الضرير سلمة بن مانع الذي من بني ضبة، وإذا أراد أن يجلس للقضاء أرسل إليه، وتارة يهجره أشهرًا فيقول سلمة: أنساه الشيطان ذكري. فابتُلِيَتْ به عبادُ الله لتغييرهم في الله، وعمانُ بِهَا العلماء

والأفاضل، ولكنْ كُلٌّ في بلده، وألسنةُ الجور أخْرَسَتْ ألسنة الحق، وسحبت ذيول الضلال أربعين سنة.

(فَصْلٌ) وشَكَتْ امرأةٌ إلى خردلة اسْمُها عادية بنت مُحرِزٍ من بني تَمِيمٍ، وكانت أحسنَ أهل زمانِهَا، فادَّعَتْ على زوجها أنه جامعها وهي حائض، فأرسل خردلةُ إلى زوجها واسْمُه عبّاد بن عُبيد من بني جَهْضَم، فسأله عن قولِهَا فأنكر ذلك، فأمر به أن يُصْلَبَ على مدفع من حديدٍ. وكان وقتَ قَيْظٍ شديد الحر، فصاح بالثُّبور، فأرسل خردلةُ إليه جُنديًّا يقول له: هلا صَدقْتَ المرأة؟ فأقرَّ بذلك لِخَوْفِ هلاك نفسه، فأَطْلَقَهُ وأخذ منه صداقَها، وبعث به إليها فتزوَّجها، وقال لعبّاد: قد حَرُمَتْ عليك وحَلَّتْ لِي. ولَمْ تَزَلْ معه إلى أن قُتِلَ خردلة.

(فَصْلٌ) وكان سبب قتل الشيخ رحمه الله: تزوَّجَتْ ابنةُ أخته - امرأةٌ اسْمُها عائشة بنت محمد بن راشد من بني النظر - برجُلٍ من بني النظر أيضًا، على مهر خمسين مُحَمَّدِيَّة فِضَّة، فأرْسَلَ خردلة جنديًّا لأخذ نصفها من الشيخ أحمد، فمنعها الشيخُ، فأرسل جندًا جُمْلَةً يدعونه إلى حضرته، فلما مَثُلَ بين يديه طالَبَهُ بالدراهم، وتَهَدَّدَهُ وأَغْلَظَ عليه، ومِنْ بعض قوله لَهُ: كُنَّا أرَدْنا منك الخمسين فقط، والآن لَمْ يَكْفِنَا إلا دَمُك، قال الشيخ: الأمْرُ لِمَنْ خلقك لا لك. فقال: أوَ تَهْزَأُ بِي؟

فأشار إلى بعض الجند أنْ أَلْقُوه من هذه الكُوَّة، فكتَّفوه وألقوه، وكانت كُوَّةُ قصره شديدةَ العلوّ، فوقع إلى الأرض ميتًا رحمه الله. ثُمَّ أَمَرَ أن تُدْخَلَ

دارُه، ويؤخذ ما فيها، فأُخِذَتْ كتبُه ومصنفاته فأحرِقَتْ، وكان له جملة مصنفات منها: كتاب سلك الجمان في سير أهل عُمان (مُجَلَّدانِ)، لَمْ يَجِدُوا منهما شيئًا إلا تسعة كراريس محروقة، ثُمَّ كتاب الوصيد في ذم التقليد (مُجَلَّدانِ)، ثُمَّ كتاب مرآة البصر في مَجْمَعِ المختلف من الأثر (أربع مجلّدات)، وُجِدَتْ قطعةٌ منه بقيقا وهي من بعض تساويده، إنا لله وإنا إليه راجعون.

(فصل) ومن كتاب مصباح الأحاديث للشيخ جابر بن عبد الله الأزكاني: أن الشيخ ابن النضر تبقّر في العلم وشاعت تصانيفُه في الآفاق وهو ابن أربع عشرة سنة. ونَسَجَ الدعائمَ وهو آخرُ ما نظمه من الشعر، حتى قال في حقه ابن زكريا: «أَشْعَرُ العلماء وأعْلَمُ الشعراء»، ولَهُ فيه أيضًا شِعْرًا:

فَحَسْبُكَ مَنْ تُثْنِي عليهِ دَفَاتِرُهْ ... وتَفْـقِدُهُ أقلامُـهُ ومَحَابِرُهْ

فَكَـمْ لِبَنِي الأيَّامِ والدَّهْرِ أَلْسُنٌ ... أوَائِلُـهُ تُثْـنِي لَهُ وَأَوَاخِـرُهْ

وقَتَلَهُ خَرْدَلَةُ الفاسقُ وهو ابنُ خَمْسٍ وثلاثينَ سنةً [في القرن الخامس][٦]، ولَمَّا لَمْ يَجْتَهِدْ أحَدٌ من العُلماء في البحث عن كُتُبِهِ وأشعارِه - لكثرةِ سلاطين الجَوْرِ وتَغَلُّبِهِمْ على آفاقِ عُمَانَ، والعِلْمُ يومئذٍ مُتَرَعْرِعٌ بِهَا سَاحبٌ أذْيَالَهُ فيها - لأجْلِ ذلك ذَهَبَتْ مُصَنَّفَاتُهُ، حتى قَيَّضَ اللهُ لَهُ محمدَ بن وصاف النَّزْوِيَّ، وكان مُجتهدًا في البحث عن الأدب وأمثاله، فأخذ في

[٦] ما بين معقوفين وَرَدَ في بعض النسخ دونَ بعض. وسيأتي التعليق عليه.

جمع قصائده الأثرية، فاحتوى على أكثرها وسَمَّاهُ كتاب الدعائم، وقيل الذي ذهب من شعره نحو سبع قصائد.

وقد تكلَّمَ أحدٌ من الفصحاء: إنِّي لو وَجَدْتُ الدعائم في البحر لَمَا أخَذْتُه. قيل له: أمِنْ رذالةِ شعر الشيخ؟ قال: بل مِنْ تَعَسُّفِ ابنِ وصاف، يَخْلِطُ الحنين في الرُّغاء! يترك الأبيات ويعدو إلى شرح ما استشْهَدَ به!! وهذه لا قاعدة للشّرح.

(فصلٌ) ومن كتاب بَهْجَةِ الأبصار: أن جَبْرَ بن سَمَاعة بن مُحسن الذي هو من بني نبهان - أخًا لِخَرْدَلَةَ بن سَماعة - تَوَعَّدَ أخاه وتَهَدَّدَهُ، وصارت بينهما حَنَّات، فخرج خردلةُ إلى القواريت من إزكي، ووطئَ ملك أخيه، فتلقّاه جبرٌ بِمَنْ معه من أهل نزوى وإزكي خيلاً ورجالاً، فوقعت بينهما ملحمةٌ من ضحى النهار إلى العصر.

وقَتَلَ خردلةُ جَبْرًا وجبرٌ خردلةَ مُصادَفةً، وانْهَزَم الفريقان كُلٌّ على وجهه فارًّا، وأراح الله العالَمِين، ثُمَّ اجتمعَ المسلمون على محمد بن غسان فنُصِبَ إمامًا، وهو أول مَنْ نُصِبَ بعد قتل ابنَيْ سَمَاعة.

(فصل) وفي مصباح الأحاديث: فالتقيا بالقاروت الأعلى، فتداخلت الناس، فبَصر خردلةُ جبرًا وجبرٌ خردلةَ، وكُلٌّ قَتَلَ صاحبه، وفَرَّت الناس بالسلامة، وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ من عسكرهما، وهذه الوقعة تسمى وقعة القواريت.

ومن كتاب الأنساب: أنَّ خردلة بن سَمَاعة من عنصر السلطان الفلاح بن المظفر، وقتله أخوه جبر بالقاروت الأعلى. قال صاحبُ بَهْجَةِ الأبصار: إن المرشد بن المرشد بن السلطان فلاح بن المظفر سلطان صحار خرج بعسكره ومن معه من أهل الحسا، وعَسْكَرَ بالبطحاء من الباطنة بأكثر من تسعة آلاف رجل، ثُمَّ قصد دَمَا ودخلها، وقتل القاضي عبد الله بن رواحة واستباح ما في بيوت أهلها عشرة أيام، ثُمَّ ارتَحَلَ إلى بلدة نَخْلٍ وعَسْكَرَ فيها، وحَبَسَ مُحَمَّد بن يزيد الحوقانِيّ.

ثم أخرج إليه الإمامُ مُحَمَّدُ بن غسّان سراياه، فالتقيا بِمَوْضِعٍ يقال له المهدن من طريق الخوض، وكان على سرية الجائر السلطان المرشد: أبو القاسم ناصر بن سليمان الحَمْحَامِي، واقتتلا قتالاً شديدًا، وكانت الهَزِيمَةُ على ناصر بن سليمان وأصحابه، والله أعلم»[٧].

انتهت الترجمة بنصها. وفيما يلي ملحوظاتي عليها.

---

[٧] في آخر النص المطبوع: «كتبه الحقير الراجي عفو ربه: سالم بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي؛ بتاريخ ١٨ ربيع أول من عام ١٣١١هجرية».

هذه ترجمة الشيخ الفصيح ابن النظر

قال الشيخ يحيى بن خلفان بن ابي بنهان الحروصي هذه ترجمة الشيخ العالم الفقيه الفصيح المصقع النبيه الناظم المفلق الوجيه صاحب الدعائم احمد بن النظر السمولي العماني المحبوبي الاباضي الذي نظم الشعر فاجاده واخذ بعنانه فتصرف فيه على ما اراده فلا يشق له غباره في هذا المضماره ولا يلقى له فيه عثاره فنظم الشريعة الشريفة في سلك المعاني والبيان وصب معانيها في قوالب البلاغة والتبيان فاستدرت الاعيان شعره في النواري وغردت به الحداة في البواري في عمان وغيرها من البلدان فلله درّه من ناظم ما افصحه ومن كلام ما ابينه واوضحه حتى قال فيه بعض اهل العلم انه اشعر العلماء واعلم الشعراء وقد شرح ديوانه هذا شراح منها شرح العلامة محمد بن وصاف وهو الذي اعتنى بجمع قصايده الموجودة شرحا مختصرا وشرحها العلامة الرقشي في مجلدين احتوى على شرح بن وصاف وزاد فيه وشرح بعض القصايد منه عالم مغربي من اصحابنا ولم يكمله وهو ابسط من الشرحين وقد شرح القصيدة اللامية التي في الحج العالم منصور بن محمد بن ناصر وهو ابن اخي الشيخ الكبير ابي بنهان وكلهم لم يتعرضوا الالفاظه البديعية والنتايج المعنوية فلم يبينوا لطيف اشاراته ولا اوضحوا مكنون نكاته ولا اكشفوا عن هاتيك المعاني من مخدراته بل كان قصاراهم التكلم على ما ظهر من الاعراب والمعاني ولعل ذلك لان قصور علمه وارتكاكة فهمه ولانضوب رويته ومادته عن الاتيان بهاتيك المعاني النادرة وعسى ان يكونوا طلبوا في ذلك الايجاز والاختصار وما احبوا الاسهاب والاكثار غير ان الشيخ منصورا ابدا انموذجا من تلك المعاني البديعية والالفاظ اللغوية فجاء شرحه لمعاني كلام الناظم اجلى وارتق في النفوس مذاقا واحلى وهذه ترجمة من كتاب خزانة الاحبا

قال المصنف

قال المصنف هو الشيخ بن النظر صاحب الذعايم فهو احمد بن سليمان بن عبد الله بن
احمد بن الخضر العالم الكبير بن سليمان الذي هو من بني النظر السموبلي بيته
بالجابية الفوقية شرقي الجامع واقتصر الناس على اسم قبيلته لشهرتها
فقيل ابن النظر وكان الشيخ عبد الله بن احمد قاضي القضاة بدمار وهو مؤلف
كتاب الانابة في الصكوك والكتابة اربع مجلدات وكتاب الرقاع في احكام
الرضاع مجلدين اجل ما صنف من الاثر عند اهل النظر وكان احمد من
اجود الناس حفظاً وكان يتعلم عند الشيخ مبارك بن سليمان بن ذهل ومنه
تعلم الشعر وخذ لخذه وكان من غاية حفظه قال انا احفظ وقد نوّمتني اتي
في المهد وعلقت حول راسي شمراخ بسر ابيض فانتظلت عنه فلما كتبه
فصحت فطردتها جايرته عني ثم رجعت فلاكت الخرقة التي كانت علي فصادفت
ابهام رجلي فصحت فطردتها الجايرته ايضاً واخذتني امي والدم يسيل من رجلي
فنظرت فاذا انا ابن عشرين يوماً وله في الحفظ ما يقصر عنه حفظ
اهل زمانه وكان عالماً باشعار العرب وسيرهم وتواريخهم ومحاورهم
وناهيك بعلم اللغة اخذها مجلداً فيرها وكانت عمان معدومة من كتب اللغة
الا كتاب العين وكتاب البحر الزاخر اكثره في الباطنة لان اللغة اليها
مستجلبة وغاية حفظه من شعر العرب اربعين الف بيت ما كان من القلائد
الى الواحدة واما القصايد الكبار فلا تحصى وكان ينظم القصيدة في ليلته
وله ديوان فلما تبقر من رزقه واكثره تفزلاً ثم صرف في فريضة في الشريعة
وانضب فيها وسبق السلف وكتب دونه جياد الخلف وتفرقت
قصايده في البلدان وذهب اكثرها منها اللي في الولاية والبراءة غير
اللامية المشهورة وفيها في الصلاة وفي الاحكام اكثر من
وبلغني عن مراثيه ان له قصيدة في الضاد والظاء نحو مايتي بيت

وسبب ذهاب ديوان اثر تصنيفه حين قتل ونهب بيته وخزانة كتبه
واحرقت بالنار ه ولنا بقي القصة وكان معاصرًا للشيخ فاضل بن عبد الله
المقلهاني وكان عالم عصره والشيخ ابا عمر النخيلي الذي ذكره بقصيده ه وكان
من خاصة اصدقائه وكان يختلف اليه وهو عالم في الفقه لا غير ه وكان بعصر
السلطان الجاير خردلة بن سماعة بن محسن ه ولنا بقي ترجمته في الباب الخامس عشر
غثا وسمينا راجع ه ومن شقي خردلة لعنه الله كان ياخذ من سبع نخلات نخلة
ويستفي اموالهم ظلما لعباده ويا كل اموال المساجد والمدارس والمقابر ويا خذ
نصف مهر المراة من العاجز اذا تزوجت ه واذا طلقت خاصم في الاجل وينصف الحب
والتمر والقطن ويكلف الناس حمل متاع بيت المال الى الحصن بغير ثمن ويكلف اهل
قيقاو يدا بدا يحملون تمرهم وما يغتصبه منهم على دوابهم وظهورهم اليه ولا يبالي
ويا خذ نصف حق المدعي ولا يحلف الناكر بل يوقع له العذاب حتى يقر لغريمه ه وكان
قاضيه الضرير سلمة بن مانع الذي هو من بني ضبه ه واذا اراد ان يجلس للقضاء
ارسل اليه وتارة يحضره اشهرًا فيقول سلمة انساه الشيطان ذكري ه فابتليت به
عباد الله لتغيير هم في الله وعمان بها العلماء والافاضل ولكن كل في بلده
والسنة الجور خرست السنة الحق ه وسجيت ذيول الضلال اربعين سنه ه فصل
وشكت امراة الى خردلة اسمها عادية بنت محرز من بني تميم وكانت احسن اهل زمانها
فادعت على زوجها انه جامعها وهي حايض فارسل خردلة الى زوجها واسمه عباد
بن عبيد من بني جمضم فساله عن قولها فانكر ذلك فامر به ان يصلب على مدفع من حديد
وكان وقت قيظ شديد الحر فصاح بالثبور فارسل خردلة اليه جنديًا يقول له
هل اصدقت المراة فاقر بذلك لكي يخوفه هلاك نفسه فاطلقه واخذ منه صداقها
وبعث به اليها فتزوجها وقال العباد قد حرمت عليك وحللت لي ولم نزل معه الى
ان قتل خردلة ه فصل وكان سبب قتل الشيخ رحمه الله تزوجت ابنة اخته

امرأة اسمها عايشة بنت محمد بن راشد فرثى المظفر برجل فرثى المظفر ايضاً على مهر
خمسين محمدية فضة فارسل خورلة جندياً الخزن نصفها من الشيخ احمد فمنعها الشيخ
فارسل جندياً يدعونه الى حضرته فلما مثل بين يديه صاله بالدراهم وتهدده
واغلظ عليه ومن بعض قوله له كنا اردنا منك الخمسين فقط والآن لم يكفنا الا
دمك قال الشيخ الامر لمن خلقك لا لك فقال اوتهزوني فاشار الى بعض الجندان
القوه فرفعه الكوة فكتفوه والقوه وكانت كوة قصيرة شديدة العلو فوقع الى
الارض ميتاً رحمه الله ثم امران تدخل داره ويوخذ ما فيها فاخذت كتبه ومصنفاته
فاحرقت وكان له جملة مصنفات منها كتاب سلك الجمان في سير اهل
عمان مجلدان لم يجد وامنها شيئاً الا تسعة كراريس محروقة ثم كتاب الوصيد
في ذم التقليد مجلدان ثم كتاب مرآة البصره في مجمع المختلف من الاثره
اربع مجلدات وجدت قطعة منه بقيفا وهي من بعض تساويد انا لله و
انا اليه راجعون فصل ومن كتاب مصباح الحاديث للشيخ جابر بن
عبد الله الازكاني ان الشيخ نزل النظر تبحر في العلم وشاعت تصانيفه في الافاق
وهو ابن اربع عشرة سنة ونسج الدعايم وهو اخر ما نظمه من الشعر حتى قال
في حقه ابن زكريا اشعر العلماء واعلم الشعراء وله فيه ايضاً

• فحسبك من تثنى عليه دفاتره • وتفقك اقلامه ومحابره •
• فكم لبني الايام والدهر السن • اوايله تثنى له واواخره •

وقتله خورلة الفاسق وهو ابن خمس وثلاثين سنة في القرن الخامس ولما لم يجتهد
احد من العلماء في البحث عن كتبه واشعاره لكثرة سلاطين الجور وتغلبهم على افاق
عمان والعلم يومئذ متروع بها ساحب اذياله فيها الجلة لكذا ذهبت
مصنفاته حتى قيض الله له محمد بن وصاف الثروي وكان مجتهداً في البحث عن الادب
وامثاله فاخذ في جمع قصايده الاثرية فاحتوى على اكثرها وسماه كتاب الدعايم

وقيل الذي ذهب من شعره نحو سبع قصايد ۞ وقد تكلم احد من الفصحاء انى لو وجدت الدعايم
في البحر لما اخذته ۞ قيل له امن رداله شعر الشيخ ۞ قال لا بل من تعسف بن وصاف
يخلط الخبين في الوغاء يترك الابيات ويعدوا الى شرح ما استشهد به وهذه لا
قاعدة للشرح ۞ فصل وفي كتاب نهجة الابصار ان جبر بن سماعة بن محسن الذي هو من
بني بهلان اخا خردلة بن سماعة توعد اخاه وتهدده وصارت بينهما احنات فخرج خردلة
الى القواريت من ارض كي ووطئ ملك اخيه فتلقاه جبر بمن معه من اهل نزوى وارض جبال
ورجال فوقعت بينهما ملحمة من ضحى النهار الى العصر وقتل خردلة جبرا وجبر خردلة
مصادفة وانهزم الفريقان كلا على وجهه فارا وراح الله العالمين ۞ ثم اجتمع المسلمون
على محمد بن غسان فنصبا اماما وهو اول من نصب بعد قتل ابن سماعة ۞ فصل
وفي مصباح الحايف فالتقيا بالقاروت الاعلى فقتل اخلت الناس فصرع خردلة
جبرا وجبر خردلة وكل قتل صاحبه وفرت الناس بالسلامة وقتل من قتل من عشائرهما
وهذه الوقعة تسمى وقعة القواريت ۞ وفي كتاب الانساب ان خردلة بن سماعة
من عنصر السلطان الفلاح بن المظفر وقتله اخوه جبر بالقاروت الاعلى ۞ قال
صاحب نهجة الابصار ان المرشد بن المرشد بن السلطان فلاح بن المظفر سلطان
صحار خرج بعسكره ومن معه من اهل الحسى وعسكر بالبطحاء من الباطنة باكثر من تسعة
رجل ثم قصد دماء ودخلها وقتل القاضي عبد الله بن روحانة واستباح ما في
بيوت اهلها عشرة ايام ثم ارتحل الى بلاد نخل وعسكر فيها وحبس محمد بن بريد
الحوقاني ۞ ثم خرج اليه الامام محمد بن غسان سرايا فالتقيا بموضع يقال له
المهدن من طريق الخوض وكان على سرية الجابر السلطان المرشد ابو القاسم ناصر
بن سليمان الحمحامي واقتتلا قتالا شديدا وكانت الهزيمة على ناصر سليمان
واصحابه والله اعلم ۞

- **نقد ترجمة ابن النضر:**

(١) نرى ابتداءً أن الترجمةَ مُفْتَتَحَةٌ بِهَذِهِ العبارة: «قال الشيخُ يَحْيَى بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي: هذه ترجمة الشيخ...»، ثُمَّ اخْتُتِمَتْ – في النص المطبوع لكتاب الدعائم – بعبارة: «كتبه الحقير الراجي عفو ربه: سالم بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي؛ بتاريخ ١٨ ربيع أول من عام ١٣١١هجرية». وهذه أُولى إشكالاتها، وكنتُ في بعض كتاباتي السابقة أميل إلى أن الشيخ الرواحي هو كاتبها، وإنما قَدَّمَ لها الشيخ يحيى من باب تقديم الشيخ لتلميذه. غير أني أستظهر الآن أنْ لا يَدَ للشيخ الرواحي فيها، ولا يَعْدُو كَوْنَهُ ناسخًا لكلام شيخه. فالترجمة – في ظاهر الأمر – من وضع الشيخ يحيى بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي؛ المولود سنة ١٢٢٧هـ والمتوفى سنة ١٣٢٢هـ.

والخلاف في النسبة لا يؤثر كثيرًا في تعيين زمان كتابتها، فهي محصورة بين النصف الثاني من القرن الثالث عشر، ومطلع القرن الرابع عشر، إلى سنة ١٣١١هـ تحديدًا، وهي زمان نَقْل الشيخ الرواحي لها. وقد اقتبس الإمام نور الدين السالمي طرفًا منها في (تحفة الأعيان)[٨] دُونَ تصريحٍ بمصدرها.

---

[٨] **تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان**؛ تأليف أبي محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي. ط١: ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م. مطبعة القاهرة/ مصر. ١/ ٢٨٨.

(٢) الغريب في الترجمة – على طولها – أنها تخلو من التصريح بزمان ابن النضر، فلا ذِكْرَ فيها لعامٍ بعينه، ولا حتى إلى قرنٍ من القرون، مكتفية بالقول أنه كان في زمان السلطان النبهاني خردلة بن سماعة، وأن أول إمام نُصب بعد مقتل خردلة كان محمد بن غسان. ولا ندري مَنْ خردلة ولا ابن غسان! فلا نجد فيما بين أيدينا من مصادر ذِكْرًا لخردلة، والمؤرخون العُمانيون يذكرون الإمام محمد بن أبي غسان (وليس محمد بن غسان) ويذكرون أخباره مطلعَ القرن السادس الهجري. وإنْ صَحَّ أنه المعنيّ كان خردلة من أهل القرن الخامس. وبناء على هذه تكون ترجمة ابن النضر كُتبت بعد زمانه بأكثر من ثمانية قرون.

(٣) مما يَلْفِتُ النَّظَرَ في الترجمة: مصادرُ كاتبها التي اعتمدَها، وهي كتاب «خِزَانَة الأَخْبَار»، وكتاب «بَهْجَة الأبصار»، وكتاب «مصباح الأحاديث»، وكلُّها غير معروفةٍ عند أَهْلِ عُمَانَ، وهي غُفْلٌ عن ذكر اسم المؤلِّف؛ ما خلا الأخيرَ فإنّه مِنْ تصنيف الشيخ جابر بن عبد الله الإزْكَانِيّ (؟؟)، وهو مَجْهولٌ لا يُعْرَفُ. ومِمَّا يُمَيِّزُها - في المَقَامِ الثانِي - تفصيلُ المَادَّةِ التارِيخِيَّةِ فيها تفصيلاً وافيًا؛ سواء من حيث الإحاطة بأخبار المؤلف وسيرة حياته، أو من حيثُ الإِلْمَامُ بأحوال عصره وما جرى فيه.

وكنت أردّ ذلك إلى وجود نوادر في حوزة كاتبها الشيخ يحيى لم تقع في يد غيره، فهو مشهودٌ له بسعة الاطلاع، وتهيأتْ له خزانة عظيمة جمعها في

سنوات عمره الطويلة من عُمان وزنجبار[٩]، لكني أعود اليوم وأتساءل: إن كانت هذه المصادر خَفِيَتْ على أهل عُمان قرونا طويلة حتى كَشَفَ عنها الشيخ يحيى؛ فأين ذهبت بعد وفاته؟ هل عادت للاختفاء مرة أخرى؟ وهل نَقَلَ منها في مواضع أخرى غير ترجمة ابن النضر؟ لا ريب أن عدم اطلاعنا عليها لا يفيد عدمها، لكن الأمر محيّر، ولو كانت موجودة لسَدَّتْ ثغرةً في التاريخ العُماني الذي يشكو من شح المصادر.

(٤) الأمر السابق يطّرد في جُلّ الأعلام الواردين في الترجمة، فهي تنفرد بذكر أعلام لا نجد إشارة لهم في مصادر غيرها، مثل: جد ابن النضر المباشر: عبد الله بن أحمد، وجَدِّ جَدِّه: الخضر، ومعلمه: مبارك بن سليمان بن ذهل، ومعاصره: فاضل بن عبد الله القلهاتي، وقاضي خردلة: سلمة بن مانع الضبي، وخردلة بن سماعة نفسه، وأخيه جبر بن سماعة، والفلاح بن المظفر، وحفيده: المرشد بن المرشد بن الفلاح بن المظفر، والقاضي عبد الله بن رواحة، ومحمد بن يزيد الحوقاني، وناصر بن سليمان الحمحامي.

وقُلْ مِثْلَ ذلك في المؤلفات المنسوبة إلى ابن النضر، والمؤلفات المنسوبة إلى جده القاضي عبد الله بن أحمد؛ فإني لم أجد لها توثيقا في

---

[٩] حول الشيخ يحيى انظر: **الشيخ العلامة يحيى بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي وإسهاماته للمكتبة العمانية**. تأليف: خالد بن عبد الله بن سيف الخروصي. ط١: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. مطابع النهضة- عُمان.

مصدر آخر، وما ظفرتُ بنقل منها أو اقتباس أو إشارة إليها في غير هذه الترجمة.

هذه الملحوظات تثير علامات استفهام كبيرة حول الترجمة، لا نجد لها جوابا.

- **ابن النضر في المصادر الأخرى:**

لا شك أن ما ادعيتُه في المبحث السابق من أخبار تَفَرَّدَتْ بها الترجمةُ محتاجٌ إلى إقامة دليل عليه، وهنا في هذا المبحث أحاول استقراء المصادر اللاحقة لابن النضر، طمعًا في الوصول إلى شذرات متفرقة من أخباره، لنوازن بينها وبين ما وَرَدَ في الترجمة.

(١) إذا استثنينا الترجمة الآنفة لابن النضر؛ لا نكاد نجد شيئا من أخباره البتة في مصادر أخرى، وهو – في المقابل – يشهد حضورًا كبيرًا في مصنفات القرون الخمسة من القرن السادس حتى العاشر للهجرة، لكنه حضورٌ مقرونٌ بدعائمه، فالاستشهاد بنظمه الفقهي والعقدي كثيرٌ شائع، ومع كثرة النقل عنه ما رأيتُ مصدرًا شَذَّ فاستطرد إلى ذكر شيء من تاريخه، إلا نتفًا متفرقة، لو جُمعت لم يكن لها كبيرُ اعتبارٍ في علم التراجم، وغيابُ هذه الأخبار يزيد أمر البحث عنه صعوبةً وتعقيدًا. ويُستثنى منها كتاب (الحَلّ والإصابة) لابن وَصَّاف، الذي سنفرد له حديثا مستقلا.

(٢) أستعرضُ هنا في سَرْدٍ موجز نتيجةَ استقراء المصادر العمانية المتقدمة وحصيلةَ أخبار ابن النضر فيها؛ ولعل أقدمها في القرن الخامس: (الضياء) للعوتبي، إذ وجدتُ فيه إشارة يتيمة إلى بيتٍ لابن النضر في باب الطلاق[١٠]. وزاد عليه في القرن السادس: (بيان الشرع) للشيخ محمد بن إبراهيم الكندي (ت٥٠٨هـ)، ففيه استشهاد بأبيات ابن النضر من الدعائم، ومن اللامية في سيرة الخلفاء وأئمة المذهب، وربما تكون هذه الشواهد من الزيادات على الكتاب لا من أصله[١١]. وفي (المصنف) للشيخ أحمد بن عبد الله الكندي (ت٥٥٧هـ) جملةٌ من هذه الاستشهادات[١٢].

---

[١٠] **الضياء**؛ تأليف: أبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبي (ق٥هـ). تحقيق: الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز الوارجلاني، وداود بن عمر بابزيز الوارجلاني. ط١: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية/ سلطنة عمان. ج١٥/ ص٢٥٢.

[١١] راجع كتاب: **العمانيون من خلال كتاب بيان الشرع**؛ إعداد: فهد بن علي بن هاشل السعدي. ط١: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية/ سلطنة عمان. ص١١ وفيه الإحالات التالية إلى **بيان الشرع** ج٣/ ٢٩٩. ج١١/ ٤٢. ج٢٧/ ١٥٩، ١٨٦، ٢١٥- ٢١٩. ج٤٢/ ٣٥٩. ج٤٧/ ١٤٥. ج٤٩/ ١٢٧. ج٥١/ ٨٤. ج٥٣/ ٩٣. ج٥٤/ ٢٨٠، ٢٩٥، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٥٢. ج٥٥/ ٧٠. ج٥٧/ ١٧٩. ج٧١/ ١١١.

[١٢] **المصنف**؛ تأليف: أبي بكر أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي (ت٥٥٧هـ). تحقيق: مصطفى بن صالح باجو. ط١: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية/ سلطنة عمان. مج٢/ ص٦١٠. مج٦/ ص١٢. مج١٩/ ص١٨٠، ٢٨٩، ٢٩٠، ٤٦١. مج٢٠/ ص٢١٢، ٧٦٧.

واقتَبَسَ الشيخ القَلْهَاتي (ق٦هـ) كثيرًا من أبيات الدعائم في (الكشف والبيان) مُسَمِّيًا له «أحمد بن النضر السمائلي»[١٣].

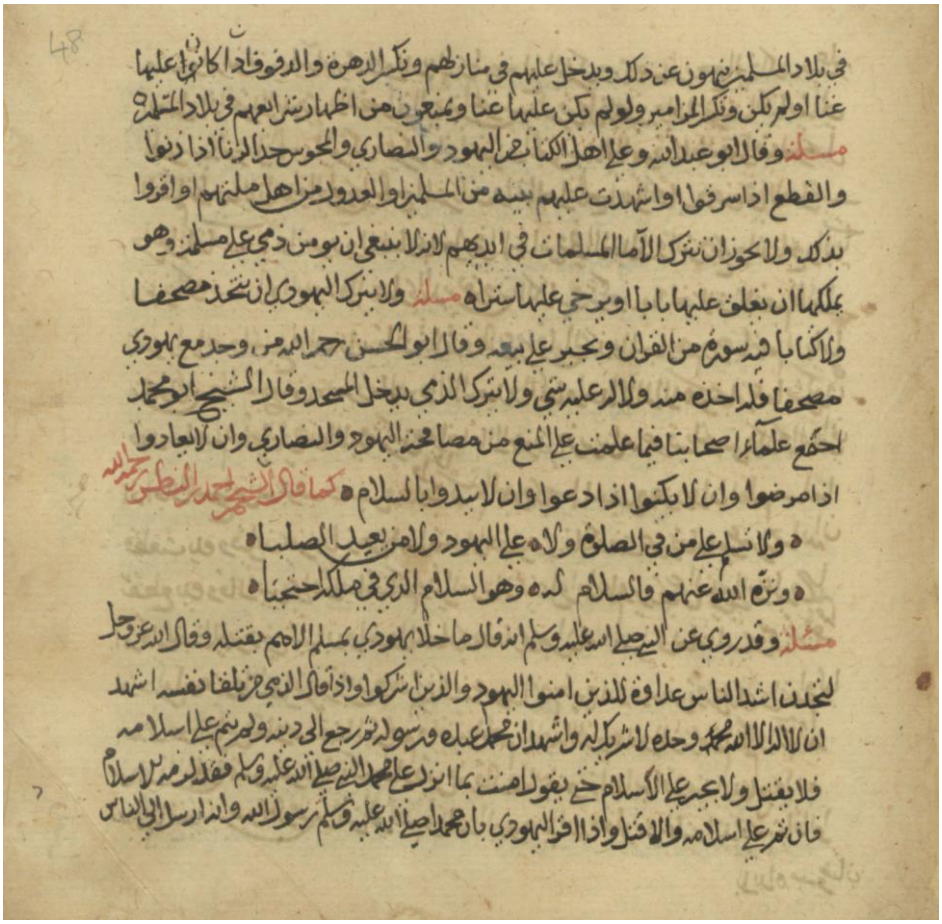

اللوحة ٤٩ من مخطوط الكشف والبيان (خزانة الشيخ سالم بن حمد الحارثي؛ رقم١)

[١٣] **الكَشْفُ والبَيَان**؛ تأليف: مُحَمَّد بن سَعِيد الأزديّ القَلْهَاتِيّ؛ أبِي عَبْدِ الله (ق٦هـ). تَحقيق: سَيّدة إِسْمَاعيل كاشِف. ط١: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. وزارة التُّرَاث القَوْمِيّ والثَّقَافَة/ سلطنة عُمَان. ١/ ٧٤، ٧٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٥١، ١٥٤، ١٨٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٠١. ٢/ ٢٦٨، ٣٠٥، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٧٢، ٣٨٦.

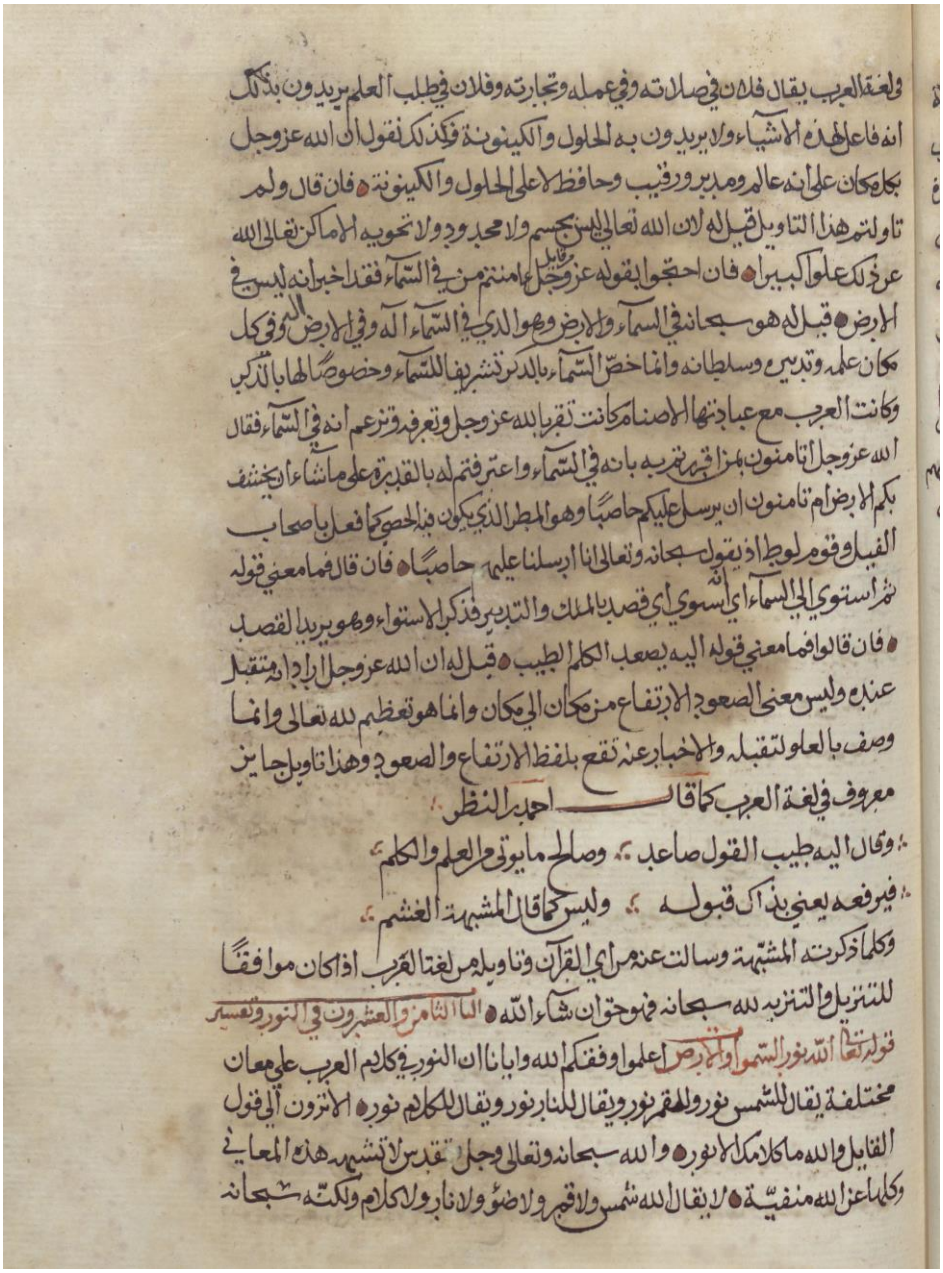

اللوحة ٢٠ من مخطوط الكشف والبيان (خزانة الشيخ سعيد بن خلف الخروصي؛ رقم١٦)

ونَقَلَ الشيخُ عادي بن يزيد اليحمدي البهلوي (ق٧هـ) في (شرح الحُلْوَانِيَّة) بعضَ أبيات ابن النضر في (الدعائم)، وسماه «أحمد بن النضر العماني السموإلي»[١٤]، وينعته أحيانا بـ «صاحب الدعائم» أو «صاحب كتاب الدعائم»[١٥].

---

[١٤] عندي وجهة نظر حول «السموإلي»: أرى من الخطأ قراءتها على هذا النحو: «السَّمَوْأَلِيّ» وأظن أنْ لا وجود لهذه الكلمة عند الأقدمين بهذا اللفظ، ولا يقصدونه، إنما جَرَتْ كتابتُها عندهم على طريقة الرسم العثماني في نحو: الصلوة والزكاة والحيوة (= الصلاة والزكاة والحياة)، فالواو مكتوبة رَسْمًا غير منطوقة لفظًا، ثم انقطع حَبْلُ التلقّي بين المتقدمين والمتأخرين، فظنّها مَنْ جاء بعدهم: السَّمَوْأَلي (نسبةً على غير قياس)، وصوابها أن تُنطق بألف ممدودة محذوفة بعد الميم، وواوٍ غير منطوقة، بعدها همزة مكسورة. وعليه فكلمة «السموئلي» هي عينها كلمة «السَّمَائِلي»، فهما متحدتان لفظا مختلفتان رسما. وطريقة النُّسَّاخ القدامى في الرسم والإملاء بِحَدِّ ذاتها تحتاج إلى دراسة، وقد سبق لي التعريج على شيء من ذلك في دراستي للمخطوطة العمانية العتيقة المنسوخة سنة ٥٣١هـ (دار المخطوطات؛ رقم ١٦٩٧)، فناسِخُها يرسم بعض أسماء الأعلام خاليةً من الألف، كالقسم (القاسم) ومعوية (معاوية) وسليمن (سليمان)، كما يرسم كلمات أخرى أيضا على شاكلتها من نحو: ثلثين (ثلاثين)، والسلم (السلام). وفي المقابل نرى ألفاظًا أخرى بإثبات الألف رسمًا مع أنَّ المَشْهُورَ حَذْفُها، مثل: هاكذا (هكذا) ولاكن (لكن).

[١٥] **شرح القصيدة الحلوانية في ذكر ملوك حِمْيَر**؛ تأليف: عادي بن يزيد بن محمد اليحمدي البهلوي (ق٧هـ). ط١: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧. الناشر: مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية/ سلطنة عمان. ص١٨٩، ١٩٧، ٢١٢، ٢٧٦، ٣٠٦، ٣٣٥، ٤٠٧، ٤٢٧، ٤٥٢، ٤٧٦، ٤٨٠.

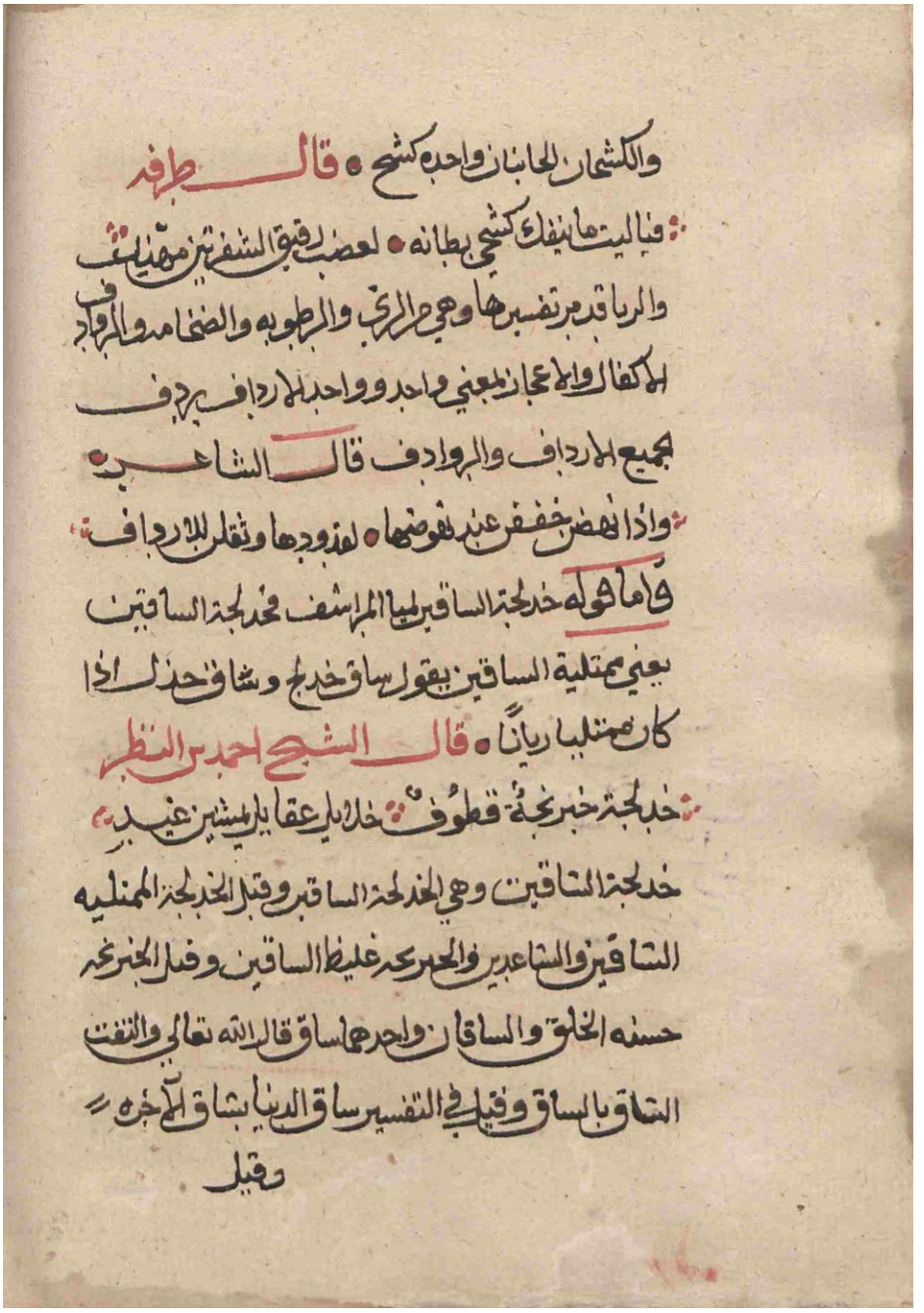

والكشحان الخابان واحده كشح ٭ قال طرفه
٭ فاليت ما يفلق كشحي بطانه ٭ لعصب رقيق الشفرتين مهند
والرباقد مر تفسيرها وهي مرالري والرطوبه والضمامد والمراد
الاكفال والاعجاز بمعنى واحد وواحد الارداف ردف
بجميع الارداف والمرادف قال الشاعر
٭ واذا انهض خفف عند نهوضها ٭ لمزودها وثقل للارداف
فاما قوله خدلجة الساقين لميا المراشف محدلجة الساقين
يعني ممتلية الساقين يقول ساق خدلج وساق حدلج اذا
كان ممتلياريانا ٭ قال الشيخ احمد بن النظر
٭ خدلجة خبرنجة قطوف ٭ خدلا يعقا يل مشين عنيد
خدلجة الساقين وهي الخدلجة الساقين وقيل الخدلجة الممتليه
الساقين والساعدين والخبرنجه غليظ الساقين وقيل الخبرنجه
حسنه الخلق والساقان واحدهما ساق قال الله تعالى والتفت
الساق بالساق وقيل في التفسير ساق الدنيا بساق الآخره
وقيل

اللوحة ٨٥ من مخطوطة شرح الحلوانية (دار المخطوطات العمانية؛ رقم٤٢٣٧)

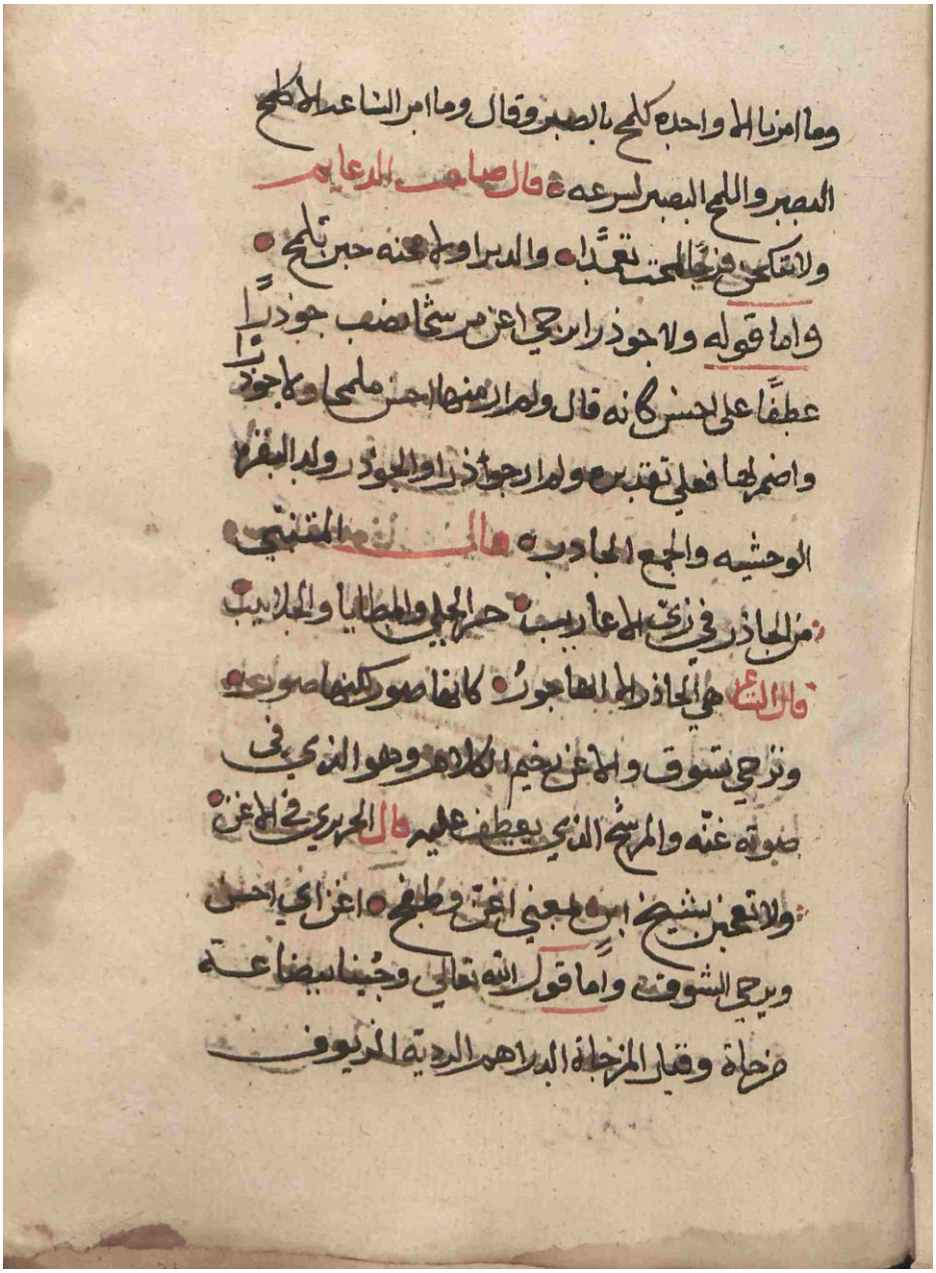

اللوحة ٨٩ من مخطوطة شرح الحلوانية (دار المخطوطات العمانية؛ رقم٤٢٣٧)

ونَقَلَ الشيخُ الأَصَمُّ (ت٦٣١هـ) في (التاج)[١٦] بعضَ أبيات الدعائم مع شرحها لابن وَصَّاف، وَوَرَدَ عنده اسمُ ابن النضر على النحو التالي: «أبو بكر أحمد بن النضر العُماني». وصَنَعَ مثل ذلك في كتابه الآخر (النور)[١٧]. وكلاهما في أصول الدين.

---

[١٦] **التاج- الجزء السادس والعشرون**؛ تأليف: عثمان بن أبي عبد الله الأصم (ت٦٣١هـ). نسخة مخطوطة في دار المخطوطات العمانية؛ برقم ٣٢٥٣. ناسخها: عمر بن سعيد ابن معد البهلوي؛ سنة ٩٨٣هـ. قال ناسخها في آخرها: «تم الجزء السادس والعشرون من كتاب التاج تأليف الشيخ الفقيه عثمان بن أبي عبد الله الأَصَمّ العَقْرِي النَّزْوِيّ نسخْتُهُ من خطه وتاريخ تَمَامِ كتابِهِ في سنة أحدٍ وستمائة سنة، وتاريخ تَمَام هذا الكتاب في يوم السبت سادس شهر الله المعظم رمضان من سنة ثلاث وثَمَانين وتسعمئة سنة هجرية نبوية على مهاجرها الصلاة والسلام. كتبه أفقر العبيد الراجي رحمة ربه المجيد عمر بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن عمر بن أحمد بن أبي علي بن مَعَدّ بيده لنفسه ابتغاء مرضاته وطلبا لثوابه في إحياء آثار أهل الاستقامة رحمهم الله تعالى». انظر مثلا قوله (في اللوحة ٢٥ من المخطوطة): «وقال أبو بكر أحمد بن النضر العماني شعرًا والتفسير لمحمد بن وصاف العُماني...»، ثم نَقَلَ ثلاث صفحات تامة من الدعائم وشرحه. وهي اقتباسات مهمة، نظرًا لقرب عهد ناقلها من ابن وَصَّاف، وكَوْنِ هذه النسخة منقولةً من نسخة المؤلف المؤرّخة سنة ٦٠١هـ، فما بينها وبين أقدم نسخة معروفة لشرح ابن وصاف إلا سنة واحدة فقط. ونجد في هذا الأصل العتيق رسم «النضر» بالضاد. وانظر اللوحة ٣٤.

[١٧] **النور**؛ تأليف: عثمان بن أبي عبد الله الأصم (ت٦٣١هـ). تحقيق: فهد بن علي بن هاشل السعدي. ط١: ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م. ذاكرة عمان- مسقط/ سلطنة عمان. ص٢٠٣، ٤١١، ٥٨٥.

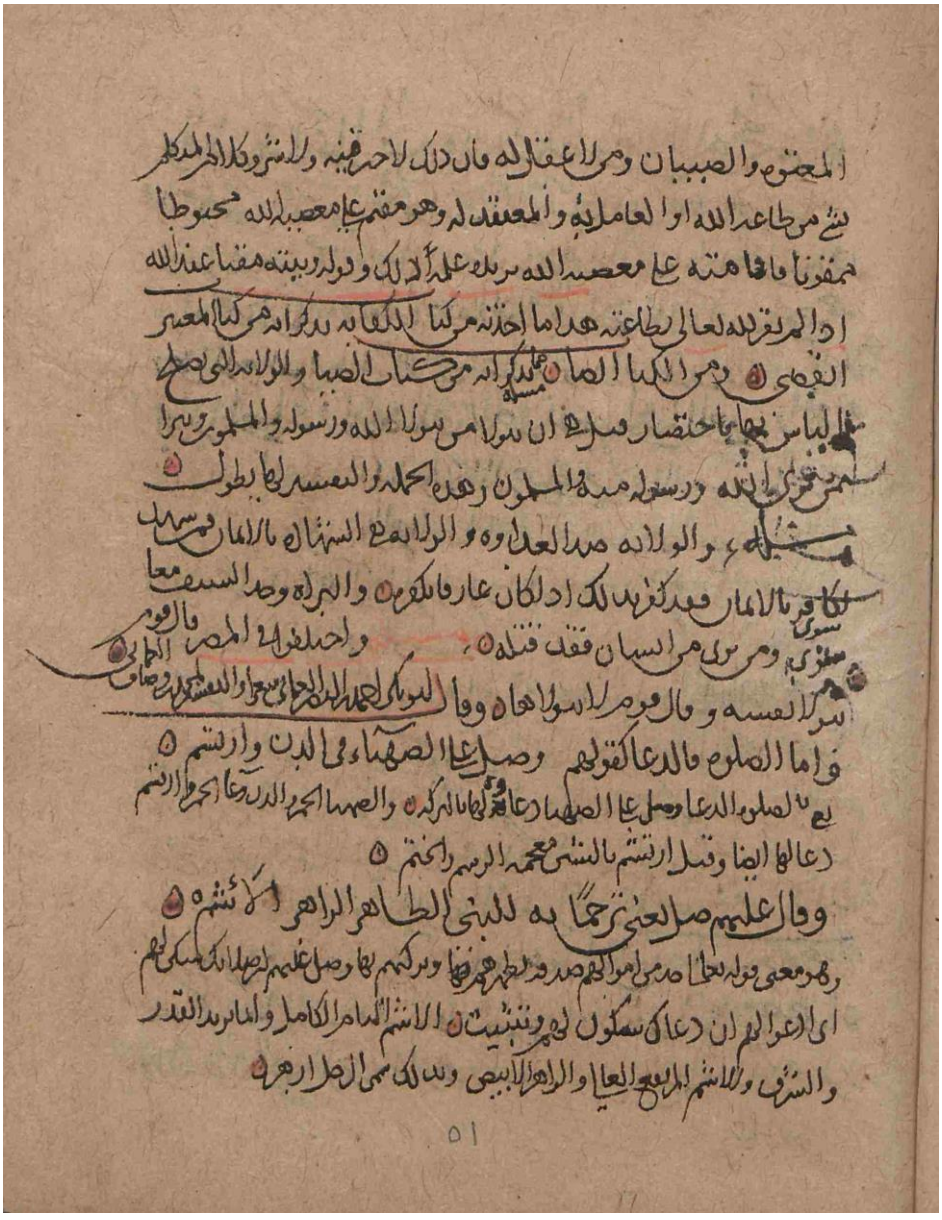

اللوحة ٢٥ من كتاب التاج للأصم (دار المخطوطات العمانية؛ رقم ٣٢٥٣)

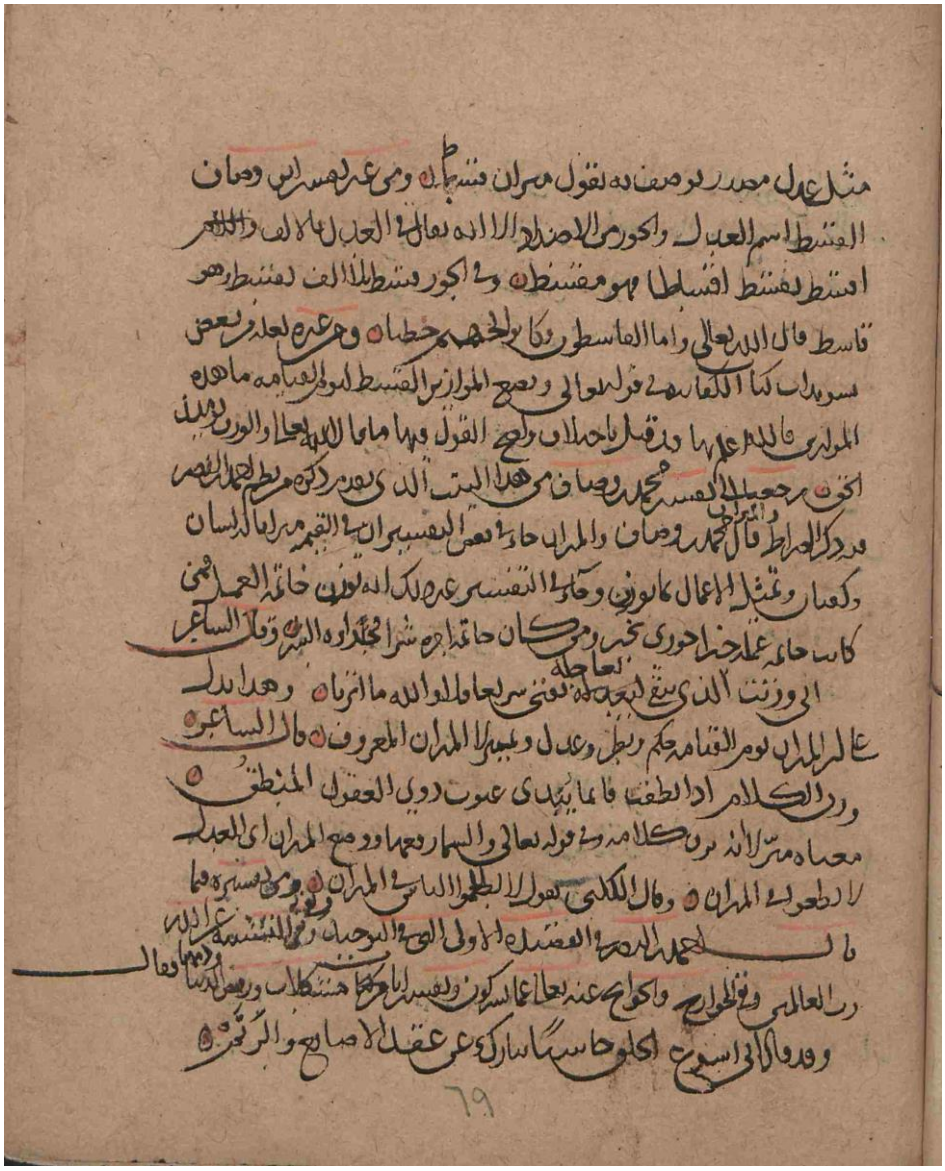

اللوحة ٣٤ من كتاب التاج للأصم (دار المخطوطات العمانية؛ رقم ٣٢٥٣)

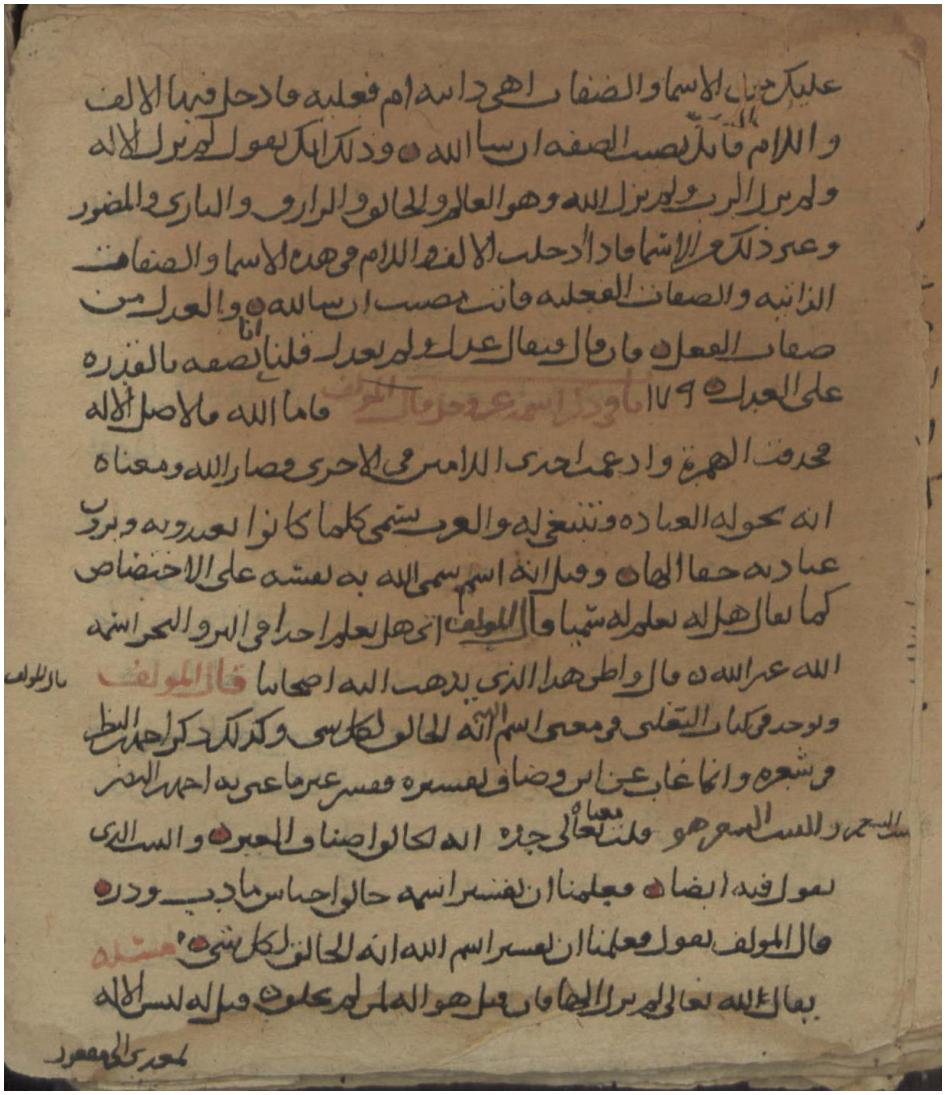

اللوحة ١٠٩ من مخطوط النور للأصم (خزانة القاضي حمود بن عبد الله الراشدي رقم ١٠)

ولم أجد مِنْ أهل القرن الثامن مَنْ نقل عن ابن النضر. وهو قرنٌ شحيحٌ بالمؤلفات حسب ما وصلنا، وتَتَبَّعْتُ منها: شرح المقامة الكِلْوِيَّة؛ لراشد بن عمر بن أحمد بن أبي الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله

بن النضر الحميري (كان حيا إلى سنة ٧١٠هـ)، وجوابات محمد بن عمر السيجاني، وجوابات أبي الحسن بن أحمد بن أبي الحسن بن سعيد بن أحمد القري النزواني (ت٧١٥هـ) فلم أَجِدْ فيها نقلًا عن ابن النضر.

وفي هذا القرن نَظَمَ فقيهٌ مجهول أرجوزةَ (النعمة) في أحكام الشريعة، فانتقل بالنظم العلمي في عُمان من القصيد إلى الرجز، وسار على منواله عبدُ الله بن موسى صاحبُ أرجوزة (الكافية)، ثم في أواخر هذا القرن وأوائل القرن الذي يليه برز الفقيه عمر بن سعيد بن راشد بن ورد الخليلي البهلوي، فنظم عدة أراجيز[١٨]. غير أن جملة هذه المنظومات لم تَطْغَ على دعائم ابن النضر، ولم تُقَلِّلْ مكانته.

أما في القرن التاسع فاستشهد الشيخ أحمد بن مُفَرّج البهلوي في جواباته كثيرًا بالدعائم، ولم يَزِدْ في تسمية صاحبه على «أحمد بن النضر»[١٩]. ومِثْلُه تلميذه الشيخ صالح بن وَضَّاح المنحي (ت٨٧٥هـ) في جواباته،

---

[١٨] حول هذه المنظومات وغيرها راجع: **المنظومات العمانية تأريخها وموضوعاتها وخصائصها**؛ بقلم: فهد بن علي السعدي. دراسة منشورة ضمن كتاب: «**قاموس التراث؛ بحوث ومقالات في التراث والتعريف به ومناقشة قضاياه**». ط١: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م. ذاكرة عمان- مسقط/ سلطنة عمان. ص٣٣٥ فما بعدها.

[١٩] **جوابات الشيخ أحمد بن مفرج** (من علماء القرن التاسع الهجري)؛ تحقيق: حمود بن عامر بن ناصر الصوافي، وغالب بن سعيد بن علي النعماني. ط١: ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م. ذاكرة عمان- مسقط/ سلطنة عمان. ص٥٤، ٦٠، ٩٢، ٩٩، ١٠٢، ١٥٨، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٦١، ٢٧١، ٣٥١، ٣٧٦، ٣٨٤، ٣٩٥، ٤٠٣.

استشهد بدعائم ابن النضر كثيرًا، ونَعَتَهُ في موضعٍ بـ «شيخ المذهب»[٢٠]. ومثله تلميذه الشيخ محمد بن علي بن عبد الباقي[٢١].

وسيأتي قريبًا نقلُ فائدة تاريخية عن ابن النضر قيّدها الشيخ أَحْمَد بن مانع بن سُلَيْمَان الناعبي العقري النَّزْوِيّ، من أهل القرن التاسع.

وفي زمانهم الأديب اللغوي: مُحَمَّد بن مَدَّاد بن مُحَمَّد بن مَدَّاد الناعبي، أشار إلى ابن النضر في قصيدته التاريخية اليائية: (يا دارَ هِنْدٍ جادَكِ الوَسْمِيُّ)، وذكره لضرورة الشعر باسم: «أحمد النضري»، ونعته بقوله: «محيي سنا الدين سَمَوإِلِيُّ»[٢٢].

---

[٢٠] **جوابات الشيخ صالح بن وضاح المنحي** (ت٨٧٥هـ)؛ جمعها ورتبها: قيس بن أحمد بن سالم الوضاحي. ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م. ذاكرة عمان- مسقط/ سلطنة عمان. ص٧٤، ٧٧، ١١٥، ١٢٧، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٨١، ١٨٧، ١٨٨ (وفي هذا الموضع نعته بشيخ المذهب)، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦٤، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٠٧، ٣٨٢، ٣٩٤، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٧٣، ٥٤٦، ٦١١، ٦٣٠، ٦٥٠، ٦٦٥، ٦٦٦.

[٢١] انظر مثلا: **المراقي**؛ تأليف: محمد بن علي بن عبد الباقي (من أهل القرنين التاسع والعاشر). نسخة مخطوطة بدار المخطوطات العمانية؛ رقم ٢٥٥. اللوحات ١٥، ٨٤، ٩٧، ١١٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٢، ١٧٤. ولم يزد على تسميته بـ «الشيخ أحمد بن النضر السمائلي العماني».

[٢٢] **الإعجاز والإشهاد في أشعار ابن مَدّاد**. حققه وعلق عليه: مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي. ط١: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية/ سلطنة عمان. ص٤٦٧. وراجعتُ نصه من الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ تحت رقم ٦٢٥.

اللوحة ٥٥ من ديوان محمد بن مداد (مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ رقم ٦٢٥)

ولعل القارئ يدرك مما سبق أننا لم نخرج بشيء من أخبار ابن النضر في المصادر العمانية طوال خمسة قرون، سوى أنه أبو بكر أحمد بن النضر السمائلي، صاحب الدعائم.

(٣) ننتقل إلى الطرف الإباضي المغربي، فنرى حضورًا مبكّرًا لابن النضر في (كتاب الوضع) المنسوب للشيخ أبي زكريا يحي بن أبي الخير الجناوني (من أهل القرن الخامس)[٢٣]. وعلى شاكلته مضى كثير من المؤلفين المغاربة، فأكثروا من الاستشهاد بأبيات الدعائم في مصنفاتهم، كأبي عمرو عثمان بن خليفة السُّوفي (ق٦هـ) في كتاب (السؤالات)[٢٤]، وأبي ساكن عامر بن علي الشماخي (ت٧٩٢هـ) في كتاب (الإيضاح)[٢٥].

---

[٢٣] **كتاب الوضع (مختصر في الأصول والفقه)**؛ تأليف: أبي زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوني. علق عليه: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش. ط١: ١٣٨١هـ. مطبعة الفجالة الجديدة- القاهرة/ مصر. ص١٠، ١٦٧. ونُشرت مؤخرا دراسة بعنوان: **تحقيق نسبة كتاب الوضع إلى الشيخ أبي زكريا الجناوني**؛ بقلم الباحثين: إبراهيم بكلي، ومصطفى باجو (مجلة الواحات للبحوث والدراسات؛ نصف سنوية تصدر عن جامعة غرداية/ الجزائر)، المجلد ١٥، العدد ٢: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م، ص٥٢٧- ٥٥٥، خلص فيها الباحثان إلى استبعاد نسبة الكتاب إلى الشيخ الجناوني، وترجيح نسبته إلى عالم إباضي نفوسي عاش ما بين نهاية القرن السادس الهجري ونهاية القرن السابع.

[٢٤] **السؤالات**؛ تأليف: أبي عمرو عثمان بن خليفة المارْغَنِّي السُّوفي (ت٥٣٠هـ تقريبا). تحقيق: خضير بن عيسى بن سليمان المليكي. ط١: ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م. مؤسسة منارة الإيمان للنشر والتوزيع- غرداية/ الجزائر. مج١/ ص٥٣١. وسماه فيه: «أحمد بن النضر العماني».

[٢٥] **الإيضاح**؛ تأليف: عامر بن علي الشماخي (مع **حاشيتي الشيخين: عبد الله بن سعيد السدويكشي، ومحمد بن عمر بن أبي ستة القصبي**). ط١ (٤ مجلدات): بين سنتي ١٣٩٠- ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٠- ١٩٧٤م. منشورات دار الفتح للطباعة والنشر- بيروت/ لبنان. ١/ ٥١، ١١٣، ٢١٣. ٢/ ٣٢، ١٤٨، ١٧٧. ٣/ ٣٧. وفي كل المواضع يُسمى «صاحب الدعائم» دون تصريح باسمه.

ومن الأخبار المهمة التي قَيَّدها أبو العباس الدَّرْجِيني في (طبقات المشايخ بالمغرب) قولُه في ترجمة الشيخ أبي عمار عبد الكافي: «ولقد حدثني بعض الطلبة النَّفْطِيين الذين قرأوا بتونس عن بعض أشياخه أنهم قالوا: أدركنا أشياخنا يذكرون طالبا من أهل وارجلان، قرأ معهم على شيخهم إذ ذاك. قالوا: أدركناهم يتعجّبون من فهمه وحفظه ومواظبته وورعه وسخائه وجلالة نفسه وسعة خلقه. قالوا: ولم يُرَ مِثْلُه من العرب ولا من البربر.

قال لي: وكانوا يذكرون أنهم اطّلعوا على كتابٍ معه في علوم مذهبه، وكان نظمًا في قصائد؛ فما هذا الكتاب؟ فقلت له: هو دعائم ابن النضر، كانت منه في بلادنا مِنْ قبل هذا نُسْخَةٌ غير محلولة، ولَمَّا حَلَّه ابنُ وَصَّاف لم يَرِدْ بلادنا حتى وَرَدَ به الشيخ أبو موسى عيسى بن زكرياء. وأَعْلَمْتُهُ أن الطالب المذكور هو أبو عَمَّار، وأَطْلَعْتُه على كتاب الدعائم لمَّا ذكره وسأل عنه، فلمَّا وقف عليه جَعَلَ يتعجب منه، فنظر منه بعض قصائد العقائد وهي الرائية التي في الردّ على القدرية، فقال مُعَرِّضًا: ما أرى هاهُنا إلا موافقة أهل السُّنَّة. فقلتُ له: وما خالف هذا الكتاب فهو خلاف السُّنَّة»[٢٦].

والدرجيني راوي هذا الخبر توفي حوالي سنة ٦٧٠هـ بعد نحو قرن من وفاة أبي عمار عبد الكافي؛ وأبو عمار معدود من أهل القرن السادس

---

[٢٦] **طبقات المشايخ بالمغرب**؛ تأليف: أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت حوالي ٦٧٠هـ). تحقيق: إبراهيم محمد طلاي. ط٢: د. ت. ودون بيانات الناشر. ٢/ ٣٠٧.

الهجري، ووفاته في النصف الثاني منه، فعلى هذا تكون نشأته وطلبه للعلم مطلع القرن السادس، وفي هذا الوقت وَقَعَتْ بين يديه نسخةٌ من الدعائم، يصفها الدرجيني أنها «نسخة غير محلولة» أي غير مشروحة، فهي خالصة لمتن الدعائم، ثم وَصَلَ شرحُ ابن وصاف في زمان الدرجيني، لَمَّا قَدِمَ به الشيخُ أبو موسى عيسى بن زكرياء الجربي بعد رحلته إلى عمان في النصف الأول من القرن السابع تقريبًا. وذكر الشماخي أن أبا نصر فتح بن نوح الملوشائي النَّفُوسي احتفى بقدوم الشرح إلى الديار المغربية، «فأصلح ما صَحّف فيه النُّسَّاخ، وأنشد عليه أبياتًا»[٢٧].

ولم يَفُتْ أبا نصر أن يستدرك على ابن النضر إغفالَ نَظْمِه أحكامَ الصلاة، فأنشأ لهذه السبب قصيدته الرائية المشهورة، وقال في آخرها[٢٨]:

ونَـظَّمْتُ فِيـها الـقافِـياتِ لأنَّـه ... قدَ اغْفَلَها الشَّيْخُ العُمانِيْ أبو بَكْرِ
عَلى أنَّ شَمْسَ العَصْرِ شَيْخٌ مُبَرَّزٌ ... أتَـى بِـبَدِيعِ الصّنْعِ بِالنَّظْمِ للنَّثْرِ
ولمْ يَحْـذُ مِـنْوالًا تَـقَدَّمَ قَـبْلَهُ ... بِنَظْمِ عُـلُومِ الفِقهِ والدِّينِ بالشِّعْرِ
فأعْجَزَ أهْـلَ العَصْرِ كُلاً وبَعْدَهُ ... كَما أعْـجَزَ الأميُّ مَنْ فاهَ بالسِّحْرِ

---

[٢٧] **كتاب السير**؛ تأليف: أبي العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت٩٢٨هـ). دراسة وتحقيق: محمد حسن. ط١: ٢٠٠٩م. دار المدار الإسلامي- بيروت/ لبنان. ٢/ ٧٧٦.

[٢٨] **قصيدتا النونية والرائية**؛ لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي (ق٧هـ). أعدها للنشر: سليمان بن سعيد الشيباني. ط١: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م. مكتبة خزائن الآثار- بركا/ سلطنة عمان. ص٦٣.

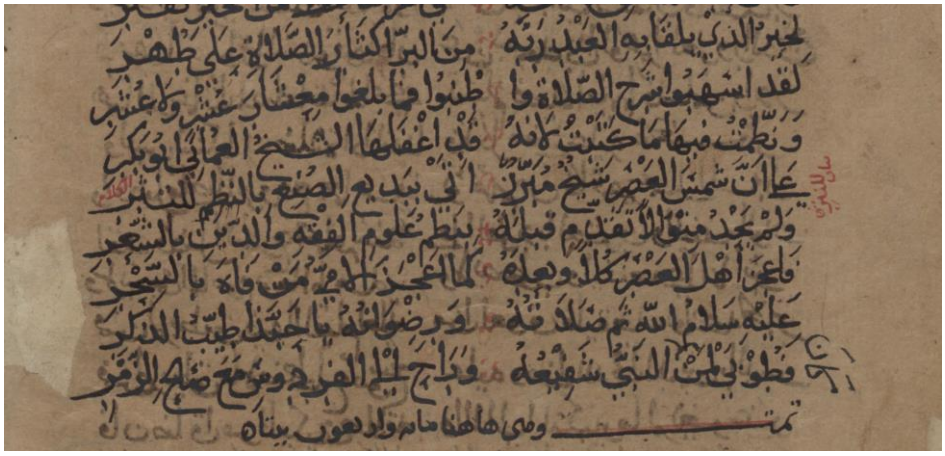

الرائية في الصلاة لأبي نصر (خزانة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي؛ رقم ٥٧)

ويبدو أن شهرة الدعائم طغت في الأوساط المغربية، فتداوله أهلُ العلم بالنسخ والحفظ والدرس والشرح، وتركوا ما سواه، تدل على ذلك وفرة نسخه المخطوطة في الخزائن المغربية، وكثرة شروحه، وإلى ذلك يشير الشماخي بقوله في ترجمة الشيخ محمد بن أيوب الجيطالي (من أهل القرن التاسع): «وأما عَمُّنا محمد فكان شيخا نظم الفقه شعرًا، ولم أر مَن اشتغل به لاشتغال الناس بالدعائم وقصائد الشيخ أبي نصر»[٢٩].

والحصيلة التي خرجنا بها من التراث المشرقي طوال خمسة قرون هي نفسها حصيلة التراث المغربي تقريبًا، فشُهرة ابن النضر مقرونةٌ بدعائمه، وليس من فوائد تاريخية عنه سوى أنه الشيخ العُماني أبو بكر أحمد بن النضر.

---

[٢٩] **كتاب السير** للشماخي؛ ٢/ ٧٩٤.

(٤) أوَّلُ تفصيلٍ حول شخصية ابن النضر نجده في القرن العاشر عند الشيخ عبد الله بن عمر بن زياد الشقصي في شرح رائية أبي نصر في أحكام الصلاة، إذ قال في تفسير الأبيات الآنفة الذكر: «**والشيخ العماني أبو بكر**: هو أحمد بن النضر السمائلي العماني، صاحب الدعائم، الساكن قرية سمائل من قرى عمان، وقد نظم في الأديان والأحكام ألفي بيت وثمانمئة بيت وستة وعشرين بيتا، وفي الولاية والبراءة ثلاثمئة بيت وثمانية عشر بيتا، التي عني بشرحها وتفسيرها الشيخ العالم محمد بن وصاف النزوي العماني البزاز[٣٠] بسوق نزوى من بيضة عمان، وسماه بكتاب (الحل والإصابة)؛ لأنه حَلَّلَ النظم إلى النثر وأصاب المعنى في ذلك، وقد ترك الشيخ أبو بكر أحمد بن النضر النظمَ في الصلاة ولم يعبأ بها، لعله ظن أن الصلاة لا تحتاج إلى عبارة ولا دلالة ليمعن فيها النظم؛ لأنه ينشأ عليها الصغير، ويدرسها الكبير، ولعله ظنَّ أنْ لَيْسَ أحدٌ يجهل منها شيئا، فالله أعلم».

إلى أن قال: «إن الشيخ أبا بكر أحمد بن النضر تَقَدَّم في نظم العلوم في الفقه والدين، ولم يَحْتَذِ بأحدٍ قبله في النظم في الفقه والدين، وقد سَبَقَ في ذلك، ولم يتقدمه أحدٌ في ذلك ليَحتذي على مثاله، وينسج الشعر على

---

[٣٠] دَقَّقْتُ النظر كثيرًا في مخطوطات شرح الرائية لابن زياد، فرأيتُ الغالب عليها ضبط صنعة ابن وصاف بالزاي: «البَزَّاز» وليس «البَزَّار»، وعليه فهو بائع ثياب وأمتعة. وأعدتُ النظر أيضا في مخطوطات رسالة في معرفة كتب أهل عمان، فوجدتُ أني أخطأتُ في إثباتها بالراء «البزار»، والصحيح بالزاي كما ورد في جل النسخ المخطوطة.

منواله، فله الفضل على غيره. وقد قال محمد بن وصاف: إن أبا بكر أحمد بن النظر أشعر العلماء وأعلم الشعراء، والله أعلم. وقد قال فيه محمد بن علي بن عبد الباقي النزوي العماني:

لله دَرُّك يا ابن النضر من رجل تقاصرتْ عنك أعلامٌ لها خَطَرُ
أتيت بالفقهِ منظوما مسائله بالشعر قد نظمت في شعرك الدرر
سمت سمائلُ كلَّ المدن قاطبة كما سموت جميع الناس إذ فخروا
بك استنارت وقد كانت مغفّلة كما استنارت على أحجارنا الحجر»[٣١].

وقد أمَدَّنا هذا النص بفوائد لا بأس بها حول تاريخ ابن النضر. وستأتي الإشارة إلى نسخة مخطوطة من شرح ابن وصاف للدعائم، كتبها الشيخ ابن زياد وزاد عليها أبياتا مع شرحها.

وفي عصره أو بعد بقليل كَتَبَ مجهولٌ رسالةً في معرفة كتب أهل عُمان، ذَكَرَ منها «دعائم ابن النضر؛ أحمد بن النضر السمائلي»[٣٢].

---

[٣١] **شرح الرائية في الصلاة وأحكامها**؛ تأليف: عبد الله بن عمر بن زياد الشقصي العماني (ق١٠هـ). دراسة وتحقيق: صالح بن سعيد القنوبي. ط١: ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م. ذاكرة عمان- مسقط/ سلطنة عمان. ص٦١٦- ٦٢٠.

[٣٢] **رسالة في معرفة كتب أهل عمان**؛ ألفها: مجهول في القرن العاشر الهجري أو بعده بقليل. اعتنى بها: سلطان بن مبارك الشيباني. ط١: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ذاكرة عمان- مسقط/ سلطنة عمان. ص٢٨، ٤٤.

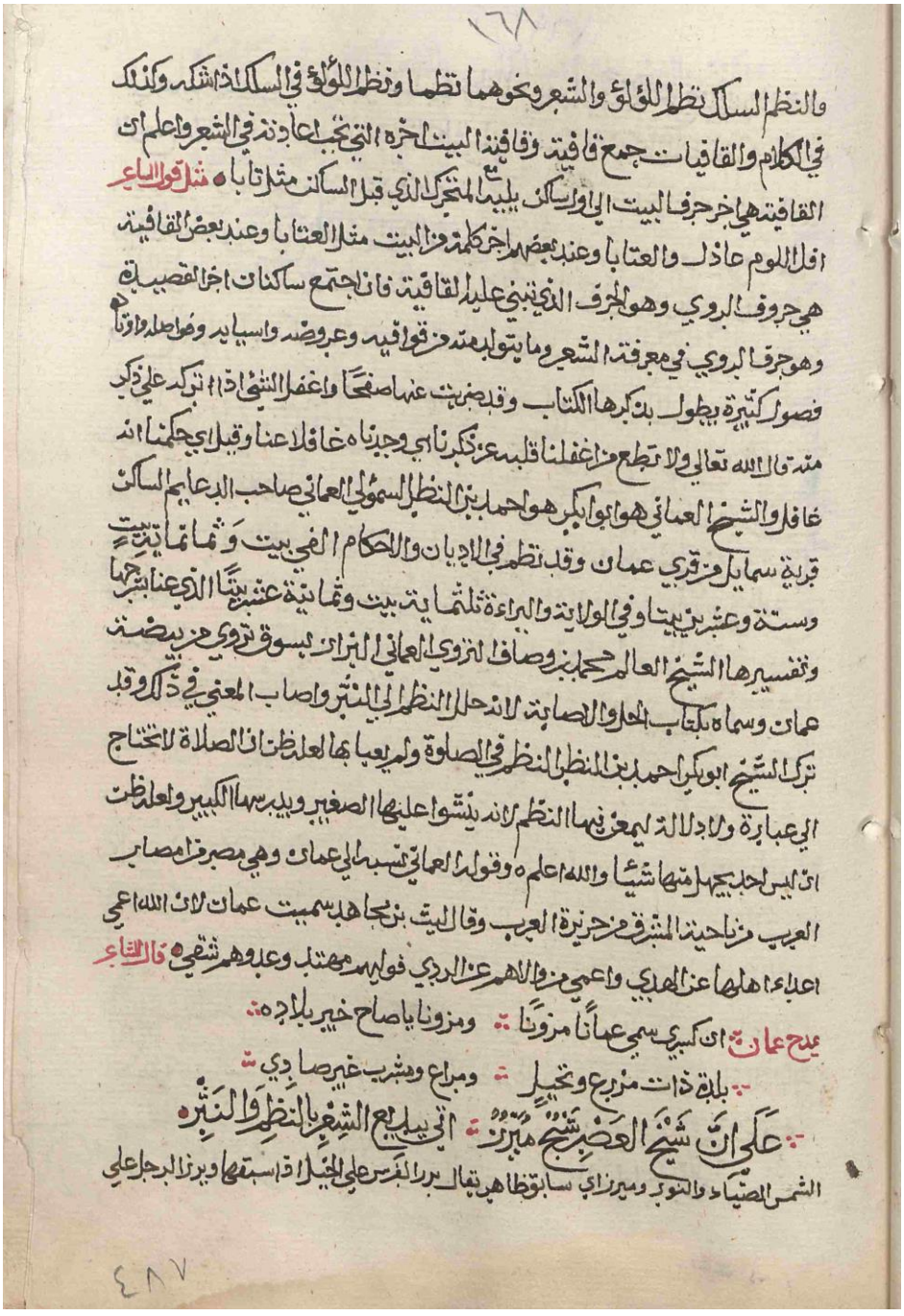

شرح الرائية (دار المخطوطات العمانية؛ رقم ٣٤٢٠)

ونقل الشاعر سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخليلي الخروصي المعروف بالغشري (ق١٢هـ) في خاتمة ديوانه رأيًا لبعض الناس ينتقد فيه شعر «الشيخ أبي بكر أحمد بن النضر»، وتَعَقَّبَهُ بأنّ «على العاقل أن يستر داء جهله بثوب الصمت والبكمة، ولا يعترض على أهل الأدب والحكمة»[٣٣].

أما العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي (ت١٢٨٧هـ) فيصفه بـ «الشيخ الكبير أحمد بن النضر»، ويستشهد بنظمه العلمي ويقول: «مع الاعتراف بسبقه في هذا البحر، وتواطؤ القول على أنه في فَنّ البيان مُتّصفٌ بجائز السحر»[٣٤].

وكان الشيخ النَّسَّابة عامر بن سليمان الريامي (ق١٣هـ) ممن يقول بنسبة ابن النضر إلى بني ريام، وسماه: «أبا بكر أحمد بن النضر الريامي» وقال عنه إنه «من فخذ توبة بن حمير بن مالك من ريام»[٣٥].

---

[٣٣] **لطائف الحِكَم في صَدَقَات النَّعَم**؛ تأليف: سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي (ت١٢٨٧هـ). تحقيق: سلطان بن خميس بن عيسى الناعبي. ط١: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. مكتبة الجيل الواعد- مسقط/ سلطنة عمان. ص١١٤، ١٣٢، ١٣٣، ٢٥٥، ٢٥٩.

[٣٤] **ديوان سعيد بن محمد الخليلي الخروصي**. نسخة مخطوطة في دار المخطوطات العمانية؛ رقم ١٣٤٥. بقلم: محمد بن عبد الله الخليلي، سنة ١١٩٣هـ، منسوخة لابن الشاعر.

[٣٥] **الدرر المنتقى وسلم الارتقا**؛ تأليف: عامر بن سليمان الريامي (ق١٣هـ). ط١: د. ت. مطبعة النصر التجارية الحديثة- نابلس/ الأردن. وراجعتُ النص من نسخة مخطوطة محفوظة في خزانة الشيخ سالم بن حمد الحارثي؛ رقم٣٥.

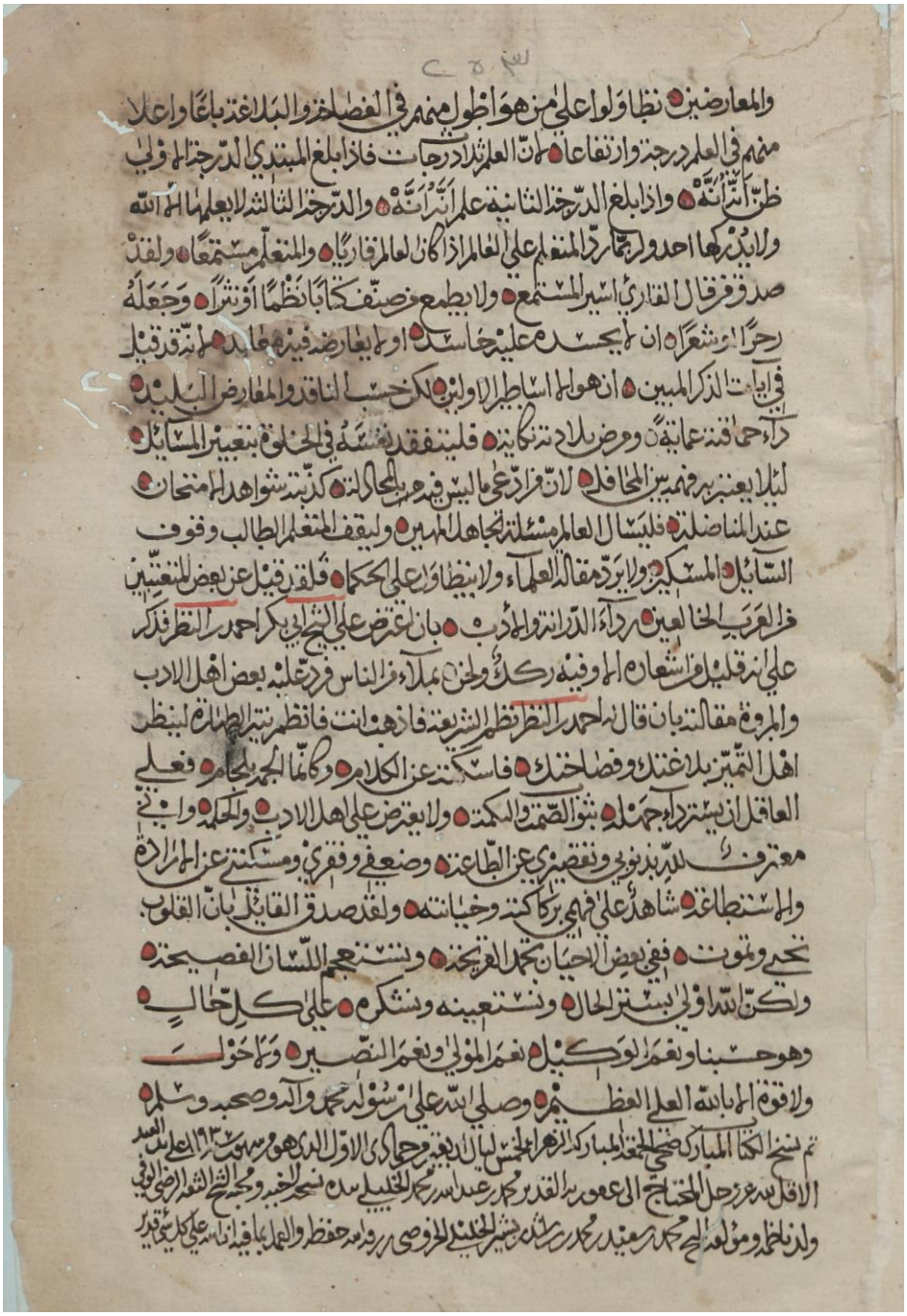

اللوحة الأخيرة من ديوان سعيد بن محمد الخليلي الخروصي (دار المخطوطات العمانية؛ رقم ١٣٤٥)

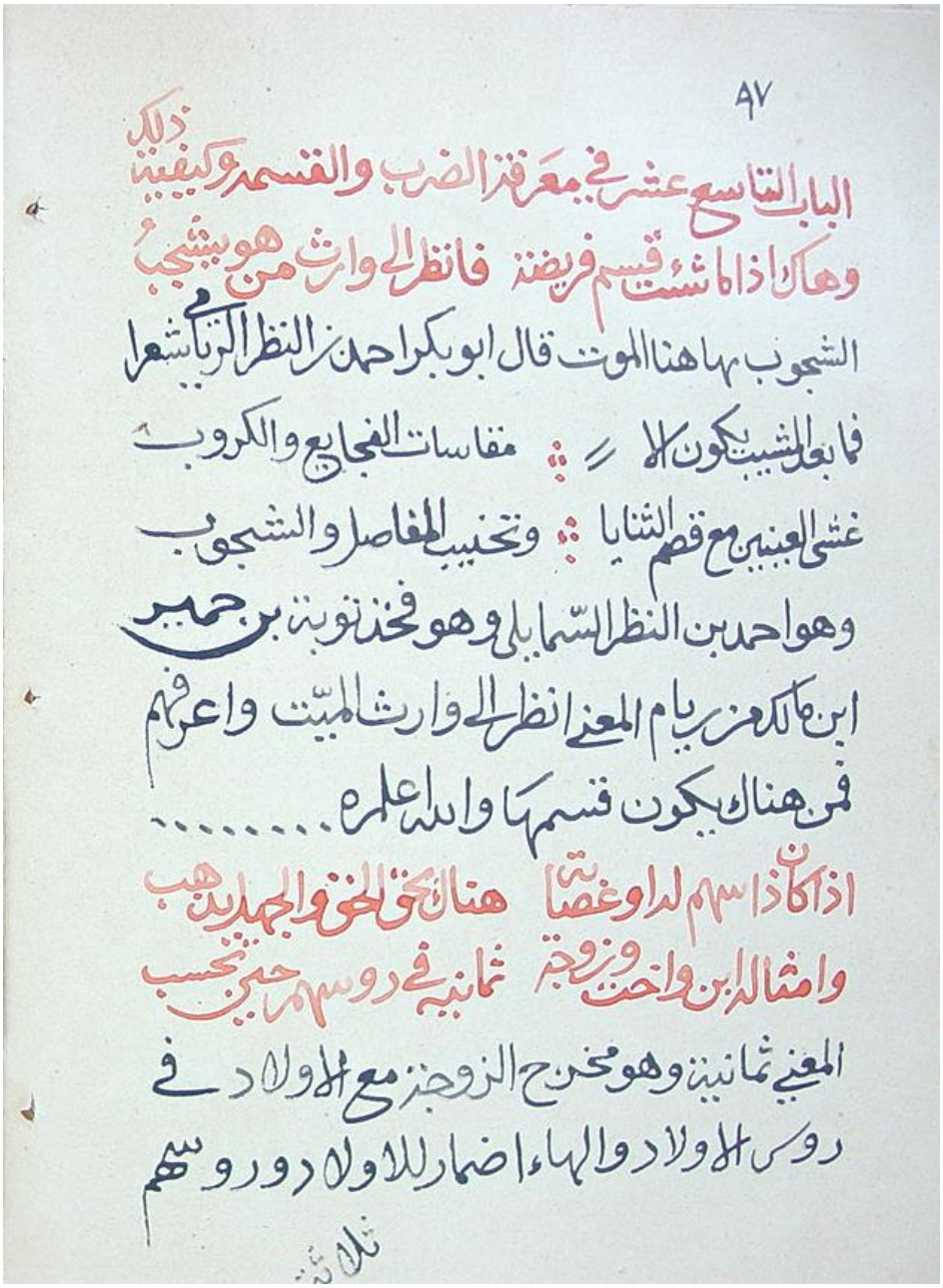

اللوحة ٥٥ من مخطوط الدرر المنتقى للشيخ عامر بن سليمان الريامي

(خزانة الشيخ سالم بن حمد الحارثي؛ رقم٣٥)

والشيخ عامر بن سليمان مسبوقٌ إلى هذا القول، فقد ذكر صاحبُ (الزمرد الفائق) أنه «وَجَدَ بخط الشيخ أحمد بن مانع بن سليمان النزوي أن الشيخ أحمد بن النضر مات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[٣٦]، وسمعتُ أنه من ريام»[٣٧]، وأحمد بن مانع الناعبي من أهل القرن التاسع الهجري.

وانتصر لهذا الرأي: سعيدُ بن سلام ابن حرمل النخلي (من أهل القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة) فسماه في رحلته الحرملية: «أحمد بن النضر التوبي»[٣٨].

وذكر الشيخ إبراهيم العبري (ت١٣٩٥هـ) هذا الرأي في مقدمة شرحه للامية ابن النضر، فقال إنه ينتسب إلى «بني النضر؛ القبيلة المعروفة، ويقال إن أصلها من بني توبة»[٣٩].

---

[٣٦] هذه الإشارة التاريخية مهمة جدا، ولعل وفاته وهو في زهرة شبابه لها دورٌ في خفاء أخباره، وشُحّ المعلومات عنه.

[٣٧] **الزمرد الفائق في الأدب الرائق**؛ تأليف: محمد بن راشد بن عزيّز الخصيبي (ت١٤١٠هـ). ط٢: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان. ١/ ٢٣٧.

[٣٨] الرحلة الحرملية المسماة: **إثمد الحدق وشنف الآذان**؛ تأليف: سعيد بن سلام بن حرمل النخلي (ق١٤هـ). نسخة مخطوطة في دار المخطوطات العمانية؛ برقم ٤٢٣٦. اللوحة ٣٦.

[٣٩] **الآثار العلمية لسماحة الشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبري** (ت١٣٩٥هـ)؛ جمع وترتيب وتعليق: علي بن هلال العبري، وجمعة بن ناصر الصارمي، وسليمان بن سيف الكندي، ومحمد بن سيف الشعيلي. ط١: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. إصدار: مركز الدراسات العمانية- جامعة السلطان قابوس/ سلطنة عمان. مج٤/ ج٨/ ص٣٤.

أما الرأي الذي اشتهر عند المعاصرين أنه ناعبي؛ فلعل أقدم من ذكره: المؤرخ الأديب ابنُ رزيق (ق١٣هـ) في (الفتح المبين)، حيث سماه «أحمد بن النضر الناعبي الأزدي السمائلي صاحب الدعائم»[٤٠].

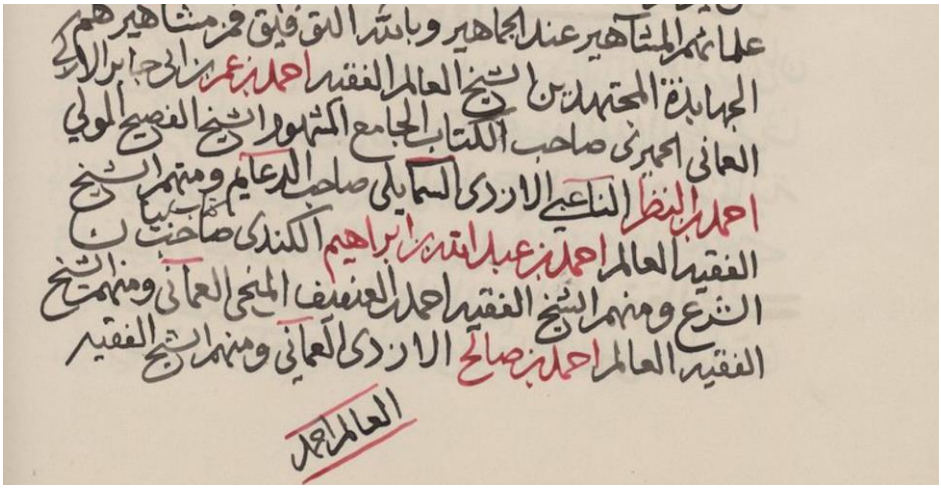

الصفحة ١١٠ من مخطوطة الفتح المبين لابن رزيق (مكتبة ستراسبورج؛ رقم٤٢٢٤)

ولم تَرِدْ هذه النسبة عنده في (الشعاع الشائع باللمعان)[٤١] ولا في (الصحيفة القحطانية)، لكنه زاد في هذه الأخيرة فائدة تاريخية فقال: «الشيخ الفقيه الفصيح أحمد بن النضر؛ صاحب الدعائم، واللامية المحكمة

---

[٤٠] **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**؛ تأليف: حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي (ق١٣هـ). تحقيق: محمد حبيب صالح، ومحمود بن مبارك السليمي. ط٦: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م. وزارة التراث والثقافة/ سلطنة عمان. ١/ ٣٨٨.

[٤١] **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان**؛ تأليف: حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي (ق١٣هـ). تحقيق: عبد المنعم عامر. ط١: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان. ص٣٩.

المفحمة المفخمة. ولم أقف على تاريخ وفاته. مات بسمائل وهي داره، وعفى قبره، وأما بيته فآثاره باقية إلى هذه الغاية»[٤٢].

ثم تابعه على النسبة إلى النُّعْب كثيرون، منهم الشيخ الخصيبي في (شقائق النعمان)[٤٣]. ونقل الشيخ البطاشي في (إتحاف الأعيان) رأيا ثالثا وَجَدَهُ «في بعض كتب أصحابنا المتأخرين» يدل على أن بني النضر من سليمة بن مالك بن فهم[٤٤].

(٥) نختم استعراض المصادر بالإشارة إلى **شروح قصائد ابن النضر**، وقد عَدَّدْتُ جملة منها في مقدمة هذه المقالة، والغرض هنا استقراء مادتها للبحث عن معلومات تاريخية تتعلق بابن النضر. فأَقْدَمُها: شرح ابن وَصَّاف في كتابين أولهما: (الحل والإصابة) في شرح الدعائم، والثاني خَصَّ به اللامية في نَسَب الدِّين، فَوَضَع لها شرحا مستقلا. وسيأتي حديث

---

[٤٢] **الصحيفة القحطانية**؛ تأليف: حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي (ق١٣هـ). تحقيق: محمود بن مبارك السليمي، ومحمد حبيب صالح، وعلال الصديق الغازي. ط١: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. وزارة التراث والثقافة/ سلطنة عمان. ٣/ ٢٩٨.

[٤٣] **شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان**؛ تأليف: محمد بن راشد بن عزيّز الخصيبي (ت١٤١٠هـ). ط٢: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م. وزارة التراث والثقافة/ سلطنة عمان. ٢/ ٣١٨.

[٤٤] **إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان**؛ تأليف: سيف بن حمود بن حامد البطاشي (ت١٤٢٠هـ). ط٢: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. الناشر: مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية/ سلطنة عمان. ١/ ٣٨٩.

مفرد عن شروح ابن وصاف. وأَقْدَمُها في الجانب المغربي: شرح الشيخ يحيى بن أبي العز الشماخي (مطلع القرن الثامن الهجري) ولم أقف عليه.

أما أبو القاسم البرادي فشَرَحَهُ في كتاب سماه: «شفاء الحائم في شرح بعض الدعائم» أنجز منه بعضه، ثم عاقه عن إتمامه سفرُه إلى حج بيت الله الحرام سنة ٧٧٥هـ. قال في مقدمته: «فإني نظرتُ إلى تواليف أصحابنا مع قلتها، وإلى تواليف مخالفينا مع كثرتها، فرأيتُ أشرفَها منزلة، وأرفعها درجة، وأعلاها رتبةً، وأغلاها قيمةً، وأوجزها لفظا، وأعجزها بيانا، وأحكمها صنعة، وأحلاها في النفوس موقعا، وأيسرها على المبتدئين حفظا، وأبقاها في القلوب منفعة؛ كتاب (الدعائم) الذي لأحمد بن النضر العماني، الرجل الفاضل، الذي لم نجد إلى الآن أحدًا من علماء هذه الأمة اقتدر على أن ينظم مسائل الفروع أبياتا، ويركّب كتبها قصائدَ، فلِلّهِ دَرُّه من رجل عالمٍ ما أَشْعَرَه! ومن رجلٍ شاعرٍ ما أَعْلَمَه! ومن رجل ناظمٍ ما أَرْشَقَ إشاراته! وأَمْلَحَ استعاراته!...».

ثم أطنب في مديحه والثناء عليه حتى قال: «فرأيتُ تَعَلُّقَ الطَّلَبَة في الطِّلْبة به، ورغبة جميعهم فيه، وكيف لا يَتْرُكُ قراءتَه أحدٌ منهم حتى كانت قراءته عندهم من الواجب الذي لا بُدّ منه، وقلما تجد طالبا من أهل الدعوة صغيرا ولا كبيرا إلا وقد كتبه وقرأه[٤٥]، ولا أظن أنّ وقتًا من

[٤٥] في هذا ملمحٌ إلى كثرة نسخة الخطية.

أوقات الزمان يمر على مدارس أصحابنا ولا تجد عدة من القرّاء يقرأونه...».

ثم شكا من خفاء معانيه على كثير من المتعلمين، وإهمال شرحه من كثير من العلماء الراسخين، ونَقَد شرح ابن وصاف له، لكنه أقر له بالأسبقية والفضل في فتح مغالقه، إلى أن قال: «وأنا قد طالَ تَعَجُّبِي في الذين تقدموني؛ كيف تغافلوا عن هذا الكتاب وتركوا شرحه وتبيينه؟ وهو بحر من بحور العلم، وقد اجتمعتْ فيه فنون كثيرة من فنون العلم، كل فن منها يتسع لتصنيف عظيم، وأعجبُ العجب من الشيخ أبي عمار والشيخ أبي يعقوب وغيرهما من أولئك الأكابر كيف غُفُولهم عنه وهو في زمانهم نسخة غير محلولة ولا مفسرة، وحلُّ ابن وصاف لم يَرِدْ هذه البلاد إذ ذاك بلا شك، حتى ورد به الشيخ عيسى بن زكريا بعد ذلك...»[٤٦].

ولم أجد في باقي الشروح ما يبل الريق أو يروي الغلة من سيرة ابن النضر[٤٧].

---

[٤٦] نسخة مخطوطة بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي تحت رقم ٣٩٣. بخط خلفان بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن عبيدان سنة ١٢٦٧هـ.

[٤٧] انظر مثلا: **شرح لامية ابن النضر في الحج**؛ تأليف: منصور بن محمد بن ناصر الخروصي. منشور بالتصوير الضوئي من مخطوطة بقلم الناسخ: يحيى بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي؛ سنة ١٢٥٤هـ. دون بيانات النشر. (الناشر: مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

هذا كتاب الدعايم تاليف الشيخ العالم احمد النظر العماني السمولي حمد الله وعونه امين

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسر علينا الحمد لله فاطر بعين السماء والارض الموجد الموجدين الجسم والعرض الذي جعل الذي جعل الخلق متدلا ولايتين الافناء والايجاد موجدا بين عالم الاصلاح وعالم الفساد وخص العالم المكلف بالاشقاء والاسعاد والتقريب والابعاد وجعل العلم افضل واجل المكاسب وارفع البضايع وارفع الحرف والصنايع وكيفا وبرجة على الجاحدين وخصمت عقول المعاندين والجمت السنة الموحدين الملحدين وقطعت بداعذار المكذبين وكشفت بها الغمم عن قلوب الفايزين

احمده حمدا اذ بحمده يفتح الكلام وبه يختتم دعواهم اهل دار السلام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد انه القادر الذي لا يعجز والحي الذي لا يموت والعالم الذي لا يجهل شهادة نطق بها لساني وانطوى عليها واعتقد جميع مقتضياتها المقدسة جناني مع اعترافي على نفسي باني مقصر عما سيوجبه والاعمال مفرط بحل ما تحري منها مجري الاتمام والاكمال واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فاني نظرت الي تواليف اصحابنا مع قلتها والي تواليف مخالفينا مع كثرتها فرايت اشرفها منزلة وارفعها درجة واعلاها رتبة واغلاها قيمة واوجزها لفظا واعجزها بيانا واحكمها صنعة واجلاها في النفوس موقعا وايسرها على المبتدين حفظا وابقاها في القلوب عفقة كتاب الدعايم الذي لاحمد النظر العماني الرجل الفاضل الذي لعله نجد الي الان احد العلماء في هذه الامة اقتدر على ان ينظم مسايل الفروع ابياتا ويركب كتبها قصايدا وسد كرة من رجل عالم ما اشعره ورب رجل شاعر ما اعلمه ورب رجل ناعم ما ارشق اشاراته واملح استعاراته فاذا تتبعت في كتابه بديع البيان مثل الطباق والمقابلة والالتفات والاستطراد والاستعارة والكناية والحذف والاضمار وغير ذلك من وجوه البديع رايته لذلك ماشدا فيه باليد الطولى والقدح الاعلى واذا تاملت ما اودعه من وجوه الاعراب وغريب اللغة وتاديب الاداب كدت ان تحسب سبورته من فصاحته ليعترف وعبد الملك ويشهد بتفضيله يقر ويعترف واذا تفكرت في قوانين النظر والجدل مثل ابطال السوال وقلب السوال وطرد العلة وتعليل السبب المسبب عنه صادفت في كتابه من ذلك ما تظن ان ابراهيم رشيد النظام حسنة وحسناته وعمرو بن بحر الجاحظ نجم ونعاجه واذا نظرت الي الابحاث العروضية والاشطار الخليلية وكيف جرى في شعره على نسق محكما تها وتجنب معايبها ورحافاتها ابصرت من ذلك ما به يعترف بتفضيله ونشهد له بجملة الاحسان وتفضيله واذا رجعت الي المعاني الرقيق والنسيب وذكر الغزل والتشبيب ووصف الشيب واللمام ذكر في تشبيه يسلمه وحدث له في ذكرها بانا ثاقبا وسهما صائبا واذا ترعت الي الالفاظ والتذكير

والتانيث

والتنبيه والتبصيره وحدثت جرى وذكر على بن محمد الشعراء في ضربهم الامثال للملوك الاغرة كيف غالهم
الزمان والايام الحدثان ٥ مع قوة سلطانهم واتصال ملكهم ٥ وذكر مشهور كثير في قصايده ٥ وان انت
اقتصرت على ما اعتمده واقتفت بما اقصده ٥ وهو ما عليه معوله من ذكر مسايل الفروع وجدته في ذلك
آية من ايات الله معجزة وحسنة من حسنات الزمان معجزة ٥ فرايت تعلق الطلبة في الطلبة بره ورغبة
جميعهم فيه وكيف لا يترك قراءة احد منهم حتى كان قراءته عندهم والواجب الذي لا بد منه ٥ وقلما تجد طالبا
من اهل الدعوة صغيرا او كبيرا الا وقد كتبه وقراه ٥ ولا اظن ان وقتا من اوقات الزمان يمر على مدارس
اصحابنا ولا تجد عدة من القراء يقرؤنه ومع طول هذا الاغتناء لا يتقلبون عنه الا بالتعب والعناء ولا
يظفرون منه بباطل ولا يتخلصون من فهمه على محصول ٥ وذكر احد الذين غير محلول ولا معسره ولم يتعرض
لحله احد الا محمد وضاف ٥ وهو في ذلك لم يعط الكتاب حقه والتبيين ولا وفاه بشرا يطه والتفسيره
والكتاب في هذا كنعمة ابي تمام ٥ قال شعرا كسيت سابيب نعصه فتطاولت ٥ كتطاول الحسناء في الاصماء
وعلى كل حال فله الفضل في السبق والتقدم والله يسمح له ٥ فكم وهيت قد سد التصحيف طرقه وعوا التبديل
سقه ٥ ففتح مستغلقه وجمع مفترقه ٥ وكم رمعنى شارد قيده ٥ وكم وجلة مجهولة رفع منارها ٥
واوضح آثارها ٥ الا انه اكثر ما جرى فيه كلامه فسر اللغة والاستشهاد بابيات الشعراء وعدد ما قيد على
ما قيل والشواهد حج شريت سنور زال وانا قد طال تعجبي في الذين تعدوني كيف بغافلوا عن
هذا الكتاب وتركوا شرحه وتبيينه وهو بحر من بحور العلم ٥ وقد احتمعت فيه فنون كثيرة من فنون
العلم ٥ كل فن منها يتسع للمصنف العظيم ٥ واعجب العجب والشيخ ابي عمر ٥ والشيخ ابي يعقوب وغيرهما
اولئك الاكابر كيف غفولهم عنه ٥ وهو في زمانهم نسخة غير محلولة ولا معسره ٥ وحل وضاف لم
يردهذه البلاد اذ ذاك بلا شك حتى ورد به الشيخ عيسى زكريا بعد ذلك فاجابني قلبي ٥ ودعاني لبي ٥
الى ان اضع فيه يدي ٥ واستفرغ في تبيينه وسع طاقتي وجهدي ٥ فاكون قد فتحت على نفسي بابا مغلقا
واوقدت سراجا فكشفت به عني ظلاما مطبقا ٥ رجاء ان اكون تعلقت باهداب قوم جدوا في احياء
العلم وتبيينه ٥ وان قصرت في العلم عن عشر معشار احدهم ٥ وقصرت في العمل عن بلوغ ادنى سعيهم
فارجو والله وكرمه ان ينفعني بمحبته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ المرء مع من احب والله المستعان
على تحليد العلم في الكتب دون الاعتماد على هم اهل العصر واشكوا الى الله فرساد الزمان واهله
ولم يبق من العلم الا الاسم ٥ ولا من الدين الا الرسم ٥ وقد تصور الباطل بصورة الحق والجهل بصورة العلم ٥
والمنكر بصورة المعروف واتخذ الناس الرؤساء الجهال الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
لا يقبض الله العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ٥ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ
الناس رؤساء جهالا ٥ فان سئلوا افتوا بغير علم فضلوا واضلوا ٥ فاستحرت الله وجمعت الكتب هذا

- **ابن النضر في كتاب الحل والإصابة:**

يستحق كتاب (الحل والإصابة) لمحمد بن وَصّاف أن يُولَى أهمية كبيرة عند البحث في تاريخ ابن النضر لسببين رئيسين؛ الأول: لكونه أول شرح معروف لدعائم ابن النضر، وقُربِ عهده – نوعًا ما – بالأصل المشروح. الثاني: لِتَضَمُّنِهِ إشاراتٍ تاريخية مهمة تزيل شيئا من الغموض عن سيرة ابن النضر.

زِدْ على هذين السببين أمرا ثالثا: وجود نسخة عتيقة من كتاب الحل والإصابة تعود إلى آخر سنة من القرن السادس الهجري (سنة ٦٠٠هـ)، وهي أدعى للاطمئنان على صحة ما ورد في الكتاب، غير أنها – للأسف – مبتورة، وأوراقها متفرقة بين دار المخطوطات العمانية (برقم ١٢٥٩) ومكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي (برقم ٣١٥)، لذا سأعتمد عليها في الإحالة إلى النصوص الموجودة فيها، وما لم يوجد فيها أُوَثِّقُهُ من مخطوطة محفوظة بخزانة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي (تحت رقم ٥٧) نسخها: مسعود بن ربيعة البهلوي سنة ٩٤٣هـ (وأسميها: النسخة البهلوية).

وتَحَرِّي النُّسَخ العتيقة في هذا المقام حاجةٌ مُلِحَّة، لِفُشُوّ التصرُّف في الكتاب بالاختصار المخل والزيادة والتحريف والتصحيف. ولأجل ذلك لا يمكن الاعتماد على طبعة وزارة التراث الأولى لهذا الكتاب؛ لأنها لا تمثل النص الأصلي الذي كتبه المؤلف.

وقلتُ في النسخة العتيقة أنها أدعى للاطمئنان؛ لأن الذي يظهر لي – مع الأسف – أنها لم تَسْلَمْ من الزيادة، ففي بعض المواضع منها تعليقات مدرجة في المتن مُصَدَّرة بعبارة: «قال الشيخ» وبعضها بعبارة «قال الشيخ أبو بكر»، وكنتُ أحسبها – باديَ الرأي – تقييداتٍ علقها الناظمُ نفسُه على دعائمه، ونقلها ابنُ وصاف في الشرح، غير أن التدقيق فيها يوحي أنها تعليقات تعقَّبَ فيها صاحبُها كلامَ الشارح، ولا أدري من هو «الشيخ أبو بكر»؟!. وعلى كل حال تؤكد هذه التعليقات أن التصرُّف في الكتاب كان مبكِّرًا جدًّا، وما كان ينبغي للناسخ أن يُدرجها في المتن دون تمييزها عن الأصل.

ثم زادُ بعض المتأخرين أبياتا إلى الدعائم، وزاد بعضُهم شَرْحَهَا ضمن شرح ابن وصاف، ولعل أبرزهم: الشيخ عبد الله بن عمر بن زياد الشقصي (ق١٠هـ)، وثمة نسخة مغربية من شرح ابن وصاف صرحت بالنقل عن نسخة الشيخ ابن زياد التي كتبها بخطه وزاد عليها أبياته وشَرْحَها، والنسخة المغربية مؤرخة سنة ١١١٠هـ[٤٨].

---

[٤٨] انظر: **رسالة في تراجم علماء جربة**؛ تأليف: سعيد بن علي بن عمر بن تعاريت (ت١٢٨٩هـ). دراسة وتحقيق: ساسي بن عمر بن يحياتن. ط١: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م. مركز الدراسات والبحوث حول الإباضية (إباديكا)- باريس/ فرنسا. ص١٦٦.

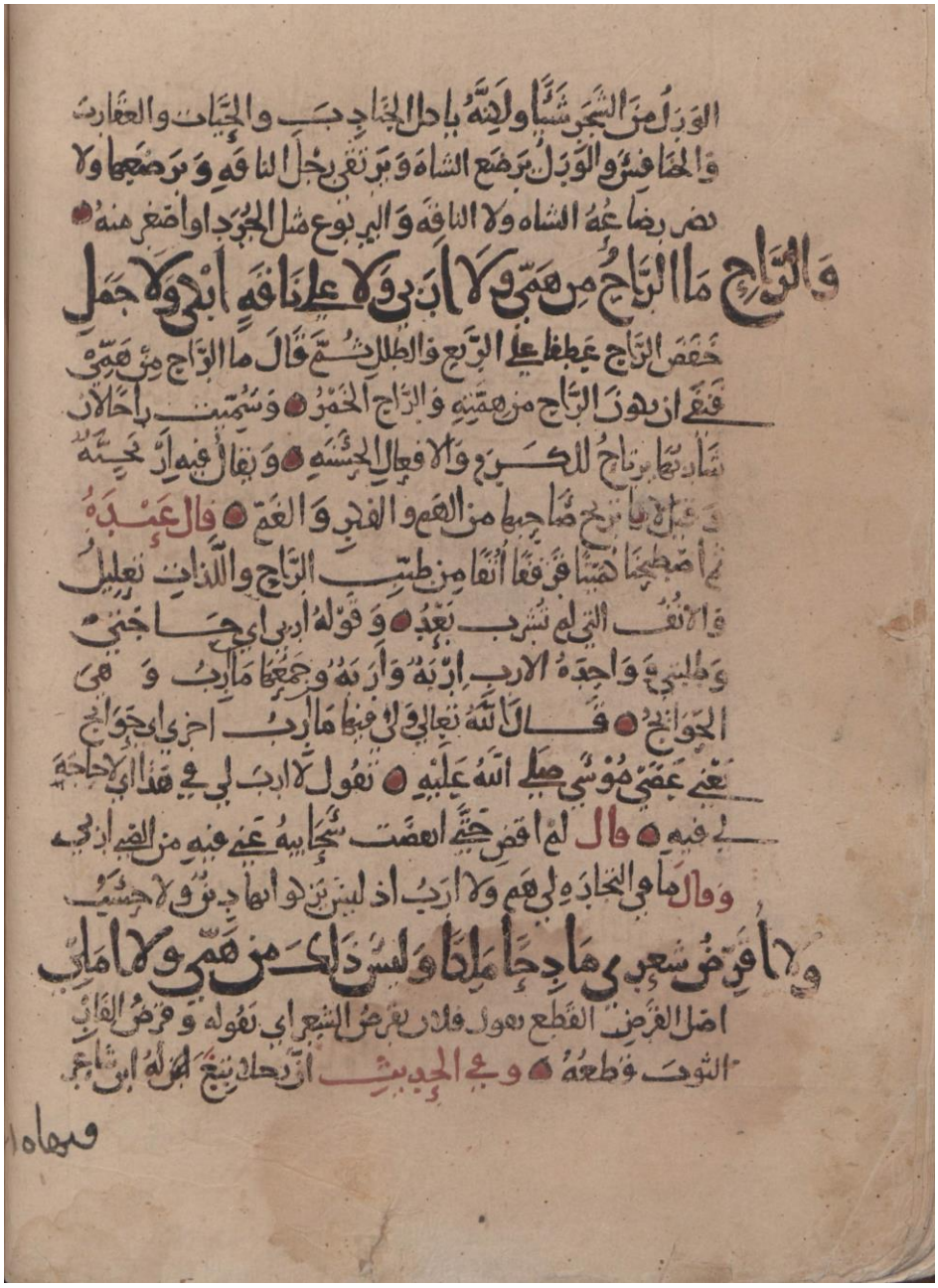

النسخة العتيقة من الحل والإصابة (مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ رقم٣١٥)

جبهه قدره وانت فيما بينهما تحمل العذره فرح المهلك
جلا وقد الغث الحبس الى اصحابه وقال مسكين ابن ادم مال
ابن ادم والفخر قتيل الشبع ضريع الجوع تولمه البقه وتقتله الشرقه
وتشته العرقه ○ وقال ابو تمام حبيب بن اوس
ذل السؤال تجافى الخلق معترض مزبد وهو شرق من خلقه جرض
وقال آخر لو بغير الماء حلقى شرق لساغ الماء ما بي شرق اد
لو بغير الماء حلقى شرقت كنت كالغصان بالماء اعتصاري
قال الاصمعي يقول انما شرقت بالماء ولو كنت بغير الماء كان الماء
ملجاي ○ وقال السنالي وكيف نساغ لي عيش الزمان
بمرياد يشرق وحلقي منه بالريق ○

بيتا

تمت وهي هذا ما يه وخمسه وعشرون

وقال في المكاتب قلق ○○

فرع المسامع بالسماع والقلب موعا عي واع

فرع اي القي والاذان ما دخل فيها من المواعظ والحكم وفرع
ايضا ضرب ○ قال ابو تمام واحسن ما سمعته اذان الوري
فرع القلوب بحكمه الحكماء ○ والسماع ما تلذذت به
من صوت حسن ○ قال ايها القلب تعلل بدون
ان قلبي في سماع واذن ○ والفرع ايضا الضرب بالسهام

النسخة العتيقة من الحل والإصابة (دار المخطوطات العمانية؛ رقم١٢٥٩)

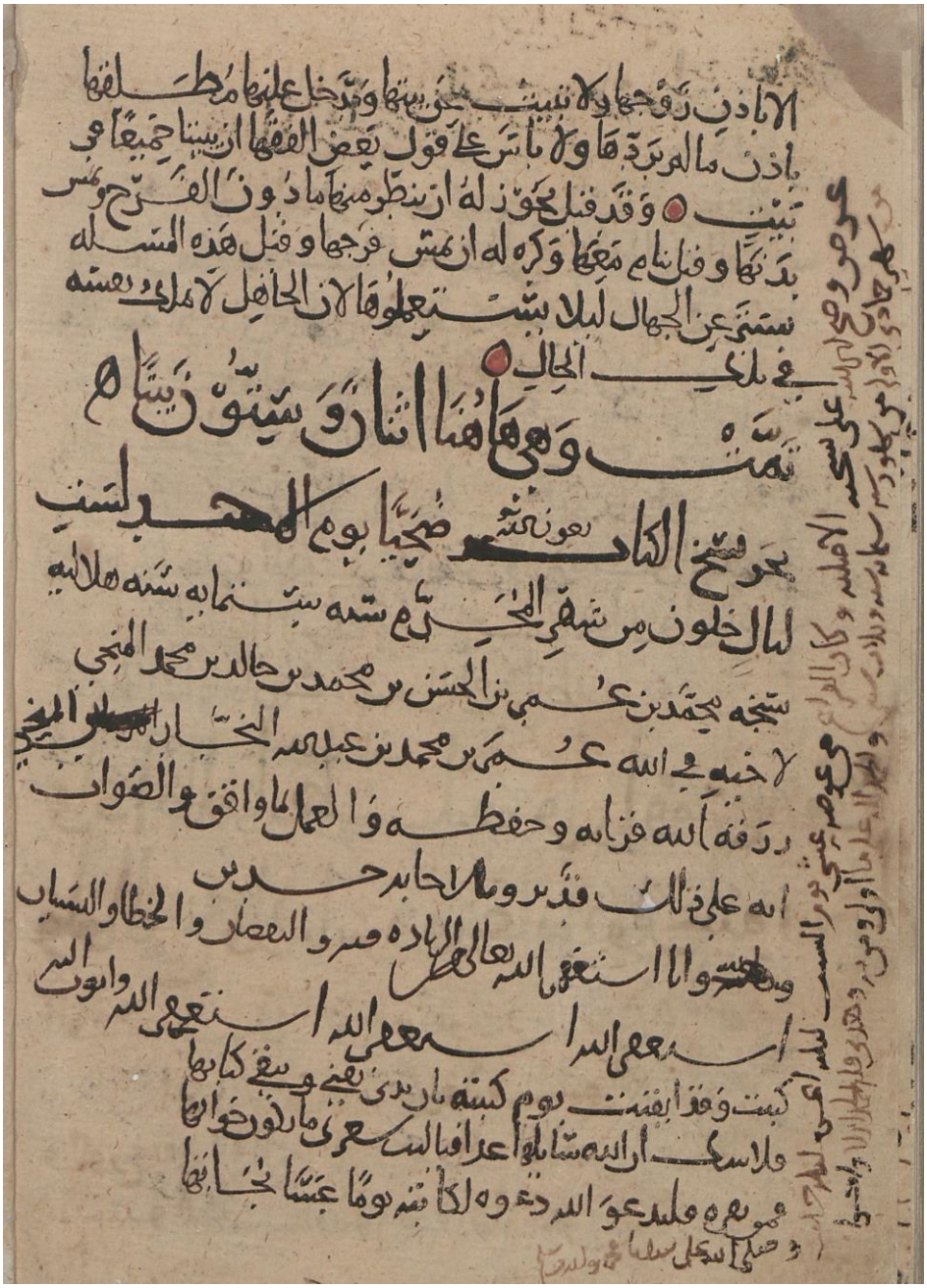

خاتمة النسخة العتيقة من الحل والإصابة في دار المخطوطات

ويظهر فيها تاريخ النسخ «ضُحَيّا يوم الأحد لست ليال خلون من شهر المحرم سنة ستمائة سنة هلالية»

خاتمة النسخة البهلوية سنة ٩٤٣هـ (خزانة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي؛ رقم٥٧)

نسخة مغربية عتيقة من الحل والإصابة منسوخة سنة ٨٢٨هـ

(خزانة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي؛ رقم١٨٦)

نسخة مشرقية من الحل والإصابة؛ محفوظة في وادي مزاب بالجزائر

منسوخة سنة ٩٤٥هـ «بمسجد المصلا بقرية عيني الرستاق»

(١) من القواعد المعتبرة في علم تراجم الأعلام: أن يُقرن العَلَمُ بمعاصريه أو قريبي العهد به ليُعرف زمانه على وجه التحديد أو التقريب. ولو أردنا إسقاط هذه القاعدة على ابن النضر لاعتبرنا تأخُّر ابن وصاف عنه (لأنه شارح كتابه) قرينةً واضحةً على تقدم زمان ابن النضر. والإشكال الذي يواجهنا هنا أن زمان ابن وصاف نفسه محل إشكال، فكيف نبني المُشْكِل على مُشْكِل؟!

وإنْ مَشَيْنا على الشائع المتداول من سيرة ابن النضر وارتباطها بالنباهنة فهذا يقودنا إلى قَرْن زمانه بزمانهم، والواقع أن في تحديد زمان النباهنة اختلافا كبيرًا بين الباحثين لا يخفى على أحد!

وسنرى لاحقا – في ثنايا هذه المقالة – دلائل تجعلنا نُدرج اسم الشاعر الستالي في البحث عن ابن النضر، وقد تباين الباحثون في تحديد زمان الستالي أيضا، بين القرون الخامس والسادس والسابع للهجرة، وهذا الخط الزمني المتطاول إلى ثلاثة قرون لا يصح البناء عليه! والبحثُ عن هؤلاء الأعلام الثلاثة (ابن وصاف، والستالي، والنباهنة) يستدعي طول نَفَس، ويقتضي إفراد كل منهم بمقالة مستقلة، سيكون لها ميعادها بإذن الله.

(٢) يستفتح ابنُ وَصَّاف شرحه للدعائم بقوله بعد البسملة والحمدلة والصلاة: «قال محمد بن وصاف: أما بعد؛ فإني نظرت فيما ألفه أهل العلم من الكتب، وصنفوه من العلوم والأدب، ودوّنوه من الرجز

والشعر، وأثروه من النظم والنثر؛ فوجدتُ كتاب الدعائم المضاف إلى أبي بكر أحمد بن النضر العماني من أحسن الكتب نظما وتأليفا، وأَجَلِّها معنى وتصنيفا، وقد سمعتُ بعض الرواة عن بعض أهل الأدب أنه قال: إن أبا بكر أحمد بن النضر كان أشعر العلماء وأعلم الشعراء. مع أني لم أجد لكتابه هذا تفسيرًا مع علوّ درجته، وشريف مرتبته، وغفول أهل العلم من الأولين عن شرحه وتبيينه ليفهم ذلك عنهم المتأخرون».

إلى أن قال: «فلما رأيت هذا الكتاب من أجلّ الكتب، وما فيه من فنون العلم والأدب، قد استولى عليه التبديل والتصحيف، وقَلْب الكلام والتحريف؛ شحذتُ فيه خاطري وفكري، مع قلة علمي وبصري، وفسرت منه ما يخفى على المتعلمين الناشئين المقلّين من العلم، ولم أجعله لِمَنْ عَلَتْ درجته في العلم وبسقت منزلته في الأدب والفهم. وكلُّ ما فسرته فمن بطون الدفاتر، وسؤال أهل البصائر...».

أول ما نستفيده من هذه الديباجة أن ابن وصاف لم يذكر فيها أنه هو الجامع لأشعار ابن النضر، وأنه هو المسمِّي لها بالدعائم، خلافًا لِمَا وَرَدَ في ترجمته المشتهرة. وظاهر كلامه يفيد أن الكتاب موجود باسمه ورسمه قبل زمانه، بل لا أقرأ في عبارته إشارةً إلى تصرُّفِ أحدٍ في الكتاب بالجمع والتسمية، وليس فيه – ولو إلماحة – إلى تعرُّض الكتاب للإتلاف أو الإحراق، أو فقدان بعض قصائده. والمفهوم من هذا كله أن الكتاب وصل إلى يد ابن وصاف مجموعا مُسَمًّى بالهيأة التي وضعه عليها صاحبُه.

(٣) تصريح ابن وصاف أن أهل العلم «الأولين» أغفلوا شرح الدعائم فيه دلالة واضحة أنّ بَيْنَهُ وبين ناظمه زمنا ليس بالقصير، فابن وصاف لم يدرك ابن النضر قطعا، وظاهر الحال أنه لم يدرك مَن أدركه، فبينهما نحو ثمانين سنة بحساب الأجيال الأربعينية، وأكثرُ من ستين سنة بحساب الأجيال الثلاثينية. هذا أقل ما يدل عليه لفظ «الأولين».

(٤) شكوى ابن وصاف من تعرض الكتاب للتبديل والتصحيف فيه دلالة أخرى على تأخر زمنه عن زمن ابن النضر بمدة تكفي ليُتناقل الكتاب ويُتداول وتتعدد نسخه وينشأ فيها التصحيف والتحريف. وهذا ما دعا ابن وصاف إلى بيان اختلاف الروايات والنسخ في بعض ألفاظ الدعائم (نسخة مكتبة السيد؛ اللوحات: ٢٧، ٣١، ٣٥، ٧٧، ١١٣. نسخة دار المخطوطات؛ اللوحات: ٥، ٤٠، ٩٨، ١٥٦، ١٧٤). وتأمَّلْ مثلا قوله في أحد المواضع: «أحسب أن هذه الأبيات فيها اضطراب واختلاف من النساخ لها، ولم يمكنّي تغيير شيء منها فتركتها على حالها» (نسخة دار المخطوطات؛ اللوحة ١٣٥).

(٥) لو أردنا أن نُسْقِط على ابن وصاف قاعدة قَرْنِ العَلَم بمعاصريه لنعرف زمانه؛ لوجدناه صَرَّح بمشافهة ثلاثة أعلام؛ أولهم – وهو أقلهم إشكالا – القاضي أبو بكر أحمد بن عمر بن أبي جابر المنحي، قال ابن وصاف في تفسير لفظ (القاق): «وأخبرني الشيخ أبو بكر أحمد بن عمر المنحي أنه وجد في كتاب لغةٍ أن القاق دُهن البان» (نسخة دار

المخطوطات؛ اللوحة ١٤٠). وهذا القاضي المنحي توفي يوم الأربعاء ١٨رمضان ٥٠٢هـ، حسبما وَرَدَ في سيرة ابن مَدَّاد[٤٩].

ثاني الأعلام: القاضي أبو علي الحسن بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عثمان العقري النَّزْوَانِيّ؛ ذكره ابن وصاف في نصوص متعددة منها: «أخبرنا أبو [علي] الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان رحمه الله» (نسخة دار المخطوطات؛ اللوحة ٤٧)، «وكنتُ عرفت عن أبي علي الحسن بن أحمد أنه قال...» (نسخة دار المخطوطات؛ اللوحة ١٣٦)، «قال مؤلف الكتاب: كنتُ سألتُ أبا علي الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان رحمه الله عن قول المسلمين...» (نسخة مكتبة السيد؛ اللوحة ١١٣). «وكنت سألت أبا علي الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان رحمه الله» (النسخة البهلوية؛ اللوحة ١٢٨). وصَرَّح بمشافهته أيضا في (شرح اللامية).

وهذه نصوصٌ صريحة في المعاصرة والتلقي المباشر، لكن الإشكال في تاريخ وفاة أبي عَلِيّ القاضي كما ورد في سيرة ابن مداد، وهو يوم الجُمُعَة ٦ ذي القعدة ٥٧٦هـ. وهو تاريخ بعيدٌ عن تاريخ وفاة القاضي المنحي بأكثر من سبعين سنة. ونصُّ عبارة ابن مداد في سيرته: «ماتَ القاضي أبو عَلِيّ الحَسَنُ بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُثْمَان - رَحِمَهُ الله - عَشِيَّةَ الجُمُعَة؛ لِسِتٍّ ليالٍ خَلَوْنَ

---

[٤٩] **صفة نسب العلماء**؛ تأليف: محمد بن عبد الله بن مداد الناعبي (ت٩١٧هـ). نسخة مخطوطة كتبها: سعيد بن علي بن جديد السيابي السمائلي سنة ١١٠٨هـ. محفوظة في دار المخطوطات العمانية؛ برقم ٣٠١٠. اللوحة رقم ١٦٠.

من شَهْرِ ذي القعدة سنةَ سِتٍّ وسَبعين وخَمْسِمئةِ سنةٍ»[٥٠]. ومع هذا التفصيل في التاريخ يغلب على ظني أنه وقع تصحيفٌ في العبارة، وأن صوابه: سنة ست سنين وخمسمئة سنة (= ٥٠٦هـ). أو أن تكون يدُ الكاتب سَبَقَتْهُ إلى كتابة «خمسمئة» وهو يريد «أربعمئة»، فيكون صواب العبارة: سنة ست وسبعين وأربعمئة سنة (=٤٧٦هـ)[٥١].

---

[٥٠] **صفة نسب العلماء**؛ اللوحة رقم ١٥٩. وجميع نُسَخ سيرة ابن مداد التي وقفتُ عليها تتفق على هذا التاريخ.

[٥١] ثم وقفتُ بعد كتابة ما تقدم على تواريخ ملحقة بمخطوط **الجزء التاسع والثلاثين من بيان الشرع** (مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ رقم٣٩/ ٢)، بقلم: مسعود بن محمد الأدماني سنة ١٠٢١هـ، وفيها هذا النص الواضح: «توفي أبو علي الحَسَنُ بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُثْمَان – رَحِمَهُ الله – عَشِيَّةَ الجُمُعَة؛ لِسِتٍّ ليالٍ خَلَوْنَ من شَهْرِ ذي القعدة سنةَ سِتٍّ وسَبعين وأربع مئة». وانظر نسخة أخرى من هذه التواريخ في خزانة الشيخ سيف بن راشد المعولي؛ رقم١٩. وهذا نص صريح يرجّح هذا التاريخ، زيادةً على القرائن التي ذكرتُها أعلاه.

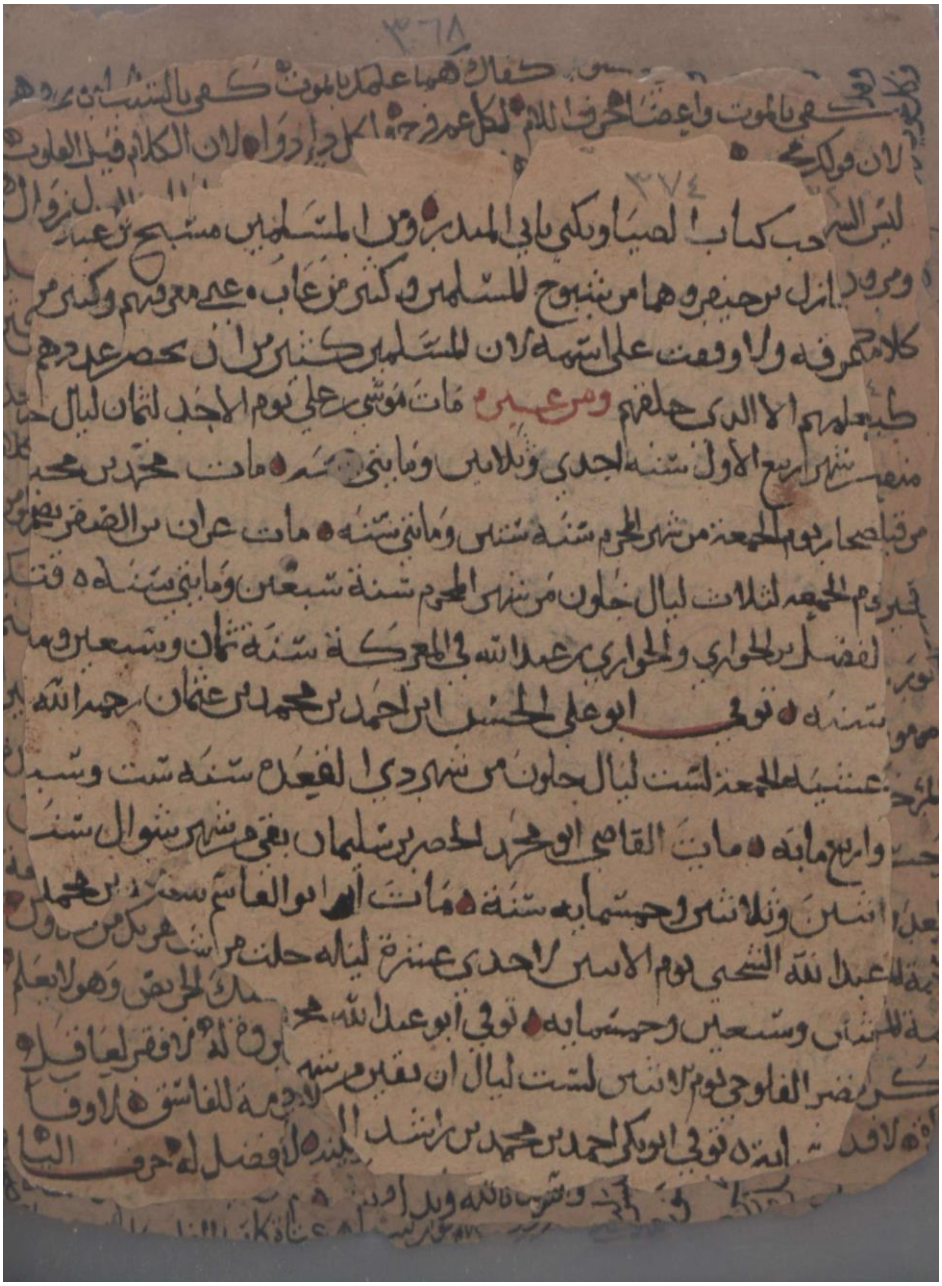

تواريخ ملحقة ببيان الشرع (مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي؛ رقم٣٩/ ٢)

وفيها تاريخ وفاة الشيخ أبي علي الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان سنة ٤٧٦هـ

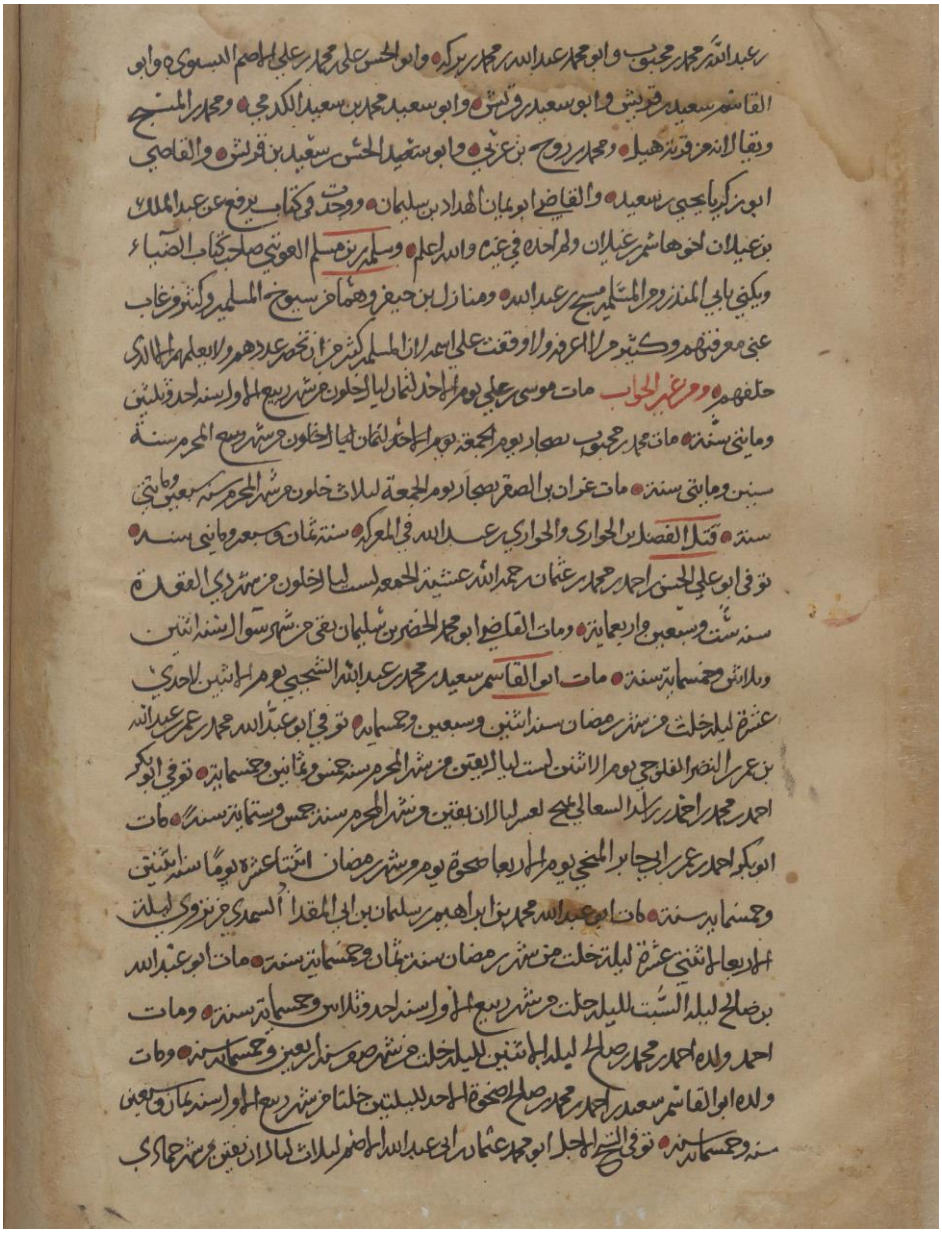

نسخة أخرى من التواريخ السابقة (خزانة الشيخ سيف بن راشد المعولي؛ رقم١٩)

وفيها تاريخ وفاة الشيخ أبي علي الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان سنة ٤٧٦هـ

ولهذا الاحتمال أسبابٌ عدة؛ أولها: ما ذكره ابن مداد نفسه أن أبا علي «كان قاضيا للإمام الخليل بن شاذان»[٥٢]، ويُستأنس له بما ذكره صاحب (الدلائل والحجج) من شهوده صلاة الجمعة زمن الإمام الخليل بن شاذان، بمحضر من قضاة زمانه، مثل القاضي الحسن بن أحمد[٥٣]. واستظهر الشيخ البطاشي في (إتحاف الأعيان) استمرار إمامة الإمام الخليل بن شاذان إلى عقد السبعين من القرن الخامس (٤٧١- ٤٨٠هـ)[٥٤].

السبب الثاني: ما ذكره ابن مداد أيضا أن القاضي أبا علي كان شيخا لمحمد بن إبراهيم الكندي صاحب بيان الشرع المتوفى سنة ٥٠٨هـ[٥٥]. ولا يُتصور أن يعيش الشيخُ بعد وفاة تلميذه ٦٨ سنة. ويؤيد ذلك نَصُّ سيرةٍ وَرَدَتْ بحذافيرها في كتاب (بيان الشرع) بعنوان: «نسب الإسلام لأهل الاستقامة من المسلمين»، عَدَّدَ فيها كاتِبُها أعلامَ عمان المشهورين بالولاية، وكان القاضي أبو علي آخرَ المذكورين فيها: «وأبي علي الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان رحمهم الله». ثم قال صاحب السيرة: «والولاية في

---

[٥٢] **صفة نسب العلماء**؛ اللوحة رقم ١٥٧.

[٥٣] **الدلائل والحجج**؛ تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحضرمي (ق٥هـ). تحقيق: أحمد بن حمو كروم، وعمر بن أحمد بازين. ط١: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. وزارة التراث والثقافة/ سلطنة عمان. ص٢٣٤.

[٥٤] انظر: **إتحاف الأعيان** ١/ ٣٥٥، ٣٧٤، ٤٩٢، ٥٥٨.

[٥٥] **صفة نسب العلماء**؛ اللوحة رقم ١٥٧.

يومنا هذا للشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم حفظه الله»[٥٦]. ويعني به الشيخَ الكندي صاحب بيان الشرع، وهذا نصٌّ واضح يؤكد وفاة القاضي أبي علي قبل تلميذه الشيخ محمد بن إبراهيم الكندي.

السبب الثالث: وجود وصية في (بيان الشرع) كتبها القاضي أبو علي في ربيع الأول سنة ٤٦٨هـ[٥٧]. جاء في أولها: «ومن وصيّة مكتوبة بخطّ أبي عليّ الحسن بن أحمد بن محمّد بن عثمان فيما أحسب: هذا ما أقرّت به وأوصت به مريم بنت محمّد بن سعيد الساكنة محلّة الشجب من قرية نزوى، وأشهدتنا به على نفسها في صحّة من عقلها وجواز وصيّتها...». وجاء في آخرها: «وبذلك أشهدت الله تعالى على نفسها، والشهود المسمّين في هذا الكتاب بعد أن قرئ عليها، فأقرّت بفهمه ومعرفته، وكانت هذه الشهادة في ربيع الأوّل من سنة ثماني وستّين وأربعمئة سنة. شهد عليها الحسن بن أحمد بن محمّد بن عثمان وكتب بيده. وشهد عليها بذلك محمّد بن إبراهيم، وكتب عنه بأمره، والحمد لله، وصلّى الله على رسوله محمّد وآله وسلم». وهذا نص صريح لا يحتاج إلى مزيد تعليق. ومقتضى هذه الدلائل كلها أن القاضي أبا علي من أهل النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (٤٥١-٥٠٠هـ).

---

[٥٦] **بيان الشرع** ٤/ ٣٨٥.

[٥٧] **بيان الشرع** ٥٩/ ١٨.

ثالثُ الأعلام الذين شافههم ابنُ وصاف: الشاعر الستالي، وقد نص على ذلك في محاورة لطيفة أوردها آخرَ قصيدة الظهار والإيلاء، عند شرح بيت الدعائم:

فَإِنِّي لَمْ أَقُلْ كَمَقَـــــالِ أَوْسٍ: خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِي خُشَيْنِ

فقال: «أراد بهذَا قول أبي تَمَّام حبيب بن أوس الطائي:

خَشُنْتِ عَلَيهِ أُخْتَ بَنِي خُشَينِ وَأَنْجَحَ فِيكِ عَـــــذْلُ العَاذِلَيْنِ

كان جرى بيني وبين أبي بكر أحمد الستالي في هذا البيت، فقال الستالي: إني لأعجب من هذَا الشيخ! كيف اضطر إلى أنْ ذَكَرَ أباه وترك القائل لم يذكره؟ وكان الوجه أن لو قال:

فإنِّي لم أقل قـــــولَ ابن أَوْسٍ خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِي خُشَيْنِ

فهذَا كان أحسن وأليق. فقلت له: هذا مستفاض في الشعر كثير. فقال: إنما كانوا يضطرّون، وهذا غير مضطرّ! فقلت له: أما عرفت قول ذي الرمّة حيث يقول في قوله مثل هذا:

غُرَيْرِيَّةَ الأَنْسَابِ أَو شَدَنِيَّةً عَلَيْهِنَّ مِن نَسْجِ ابنِ داوُدَ زُخْرُفُ

فذكرَ الابن وعَنَى سليمان بن داود، والدروع إنما كان يعملها داود لا سليمان. وغير ذلك في قول العرب كثير. وقال آخر:

أرى الخَطَفَى بَذَّ الفَرَزْدَقَ شعرُهُ ولكنّ خيرًا من كُليبٍ مُجاشِعُ

أراد أن جريرًا بَذَّ الفَرَزْدَق شعره، فلم يمكنه فذكر جدّه. إلَّا أن أبا بكر أحمد بن النضر سبق وصلى غيره، فحاز السبق، ونظم العلم المنثور، فلو

تكلَّفه أحدٌ بعده لافتضح، ولو كان أحدٌ يقدر أن يأتي بمثله لأتى، ولكن لم يصحّ ذلك لأحد. ومن الحجة على الستالي فيما ذكرناه قولُ ذي الرمة:

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارِثيُّونَ بَعدَما قَضى نَحبَهُ في مُلتَقى القَومِ هَوبَرُ

قال [ابن] الكلبي: هو يزيد بن هوبر. فاضطر إلى ذكر الأب» (نسخة دار المخطوطات؛ اللوحة ١٧٤).

انتهت هذه المحاورة ذات الأبعاد التاريخية والأدبية، وقد نقلتُها من النسخة العتيقة، لأن النساخ المتأخرين حرفوها عن وجهها وبدلوا ألفاظها وغيروا معانيها. والكلام حول زمان الستالي يطول، غير أن القصائد المؤرخة في ديوانه محصورة بين النصف الثاني من القرن الخامس، ومطلع القرن السادس، وهو ما يتماشى مع زمان القاضيين أبي بكر المنحي وأبي عليّ النزواني.

ومن هذه القرائن نستطيع أن نتكئ على مستند وثيق يرجح انتماء ابن وصاف إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وربما جاوزه قليلا إلى القرن الذي يليه. ونستشفّ من ظاهر عبارته أن بينه وبين ابن النضر زمنًا معتبرا، يدفعنا إلى تحديد زمان ابن النضر بالنصف الأول من القرن الخامس الهجري (٤٠١- ٤٥٠هـ) أو حَوَالَيْ سنة ٤٠٠هـ.

• الخلاصة:

خلاصة هذا البحث المتشابك أن الترجمة المتداولة لابن النضر فيها اضطراب كبير وتَفَرُّدٌ وغرابة، يجعلنا نتوقف عن قبول ما جاء فيها، إلى أن نجد ما يُسندها أو نستكشف حقيقة مصادرها على الأقل. ولعل القارئ أدرك مظاهر تفرد هذه الترجمة في جوانب عديدة، ابتداء من نسبه الذي لا نجد له ذكرا في غيرها، وانتهاء بعاقبته المأساوية.

وأن المصادر الأخرى لا تقدم شيئا معتبرا عن تاريخ ابن النضر وآثاره، ويظل ما كتبه ابن وصاف – على الرغم من قلته – المصدرَ الأوثق في هذا الشأن، وأهم ما أفادنا به أن ابن النضر لم يشهد عصر ملوك بني نبهان فضلا عن التصادم معهم، وأنه عاش في حدود سنة ٤٠٠هـ أو قبلها أو بعدها بقليل، وأنه أحمد بن النضر السمائلي، ولا زيادةَ في نسبه، مع خلافٍ في نسبته إلى أي قبيلة.

وأنه – أعني ابن النضر – هو الذي سمى كتابه «الدعائم»، ورتب قصائده، ولا دليل على فَقْدِ شيء منه، بل القرائن تشير إلى أنه ظل محفوظا كما أنشأه مؤلفُه إلى زمان ابن وصاف، سوى بعض ما ناله من التحريف والتبديل على أيدي النُّسَّاخ.

ونسأل الله أن يهدينا إلى الصواب ويوفقنا إليه.